إيقاظ الهمة

لاتباع نبي الأمة

صلى الله عليه وسلم

راجعه معالي الدكتور الشيخ

صالح بن فوزان الفوزان

بتوجيه من سماحة الشيخ

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

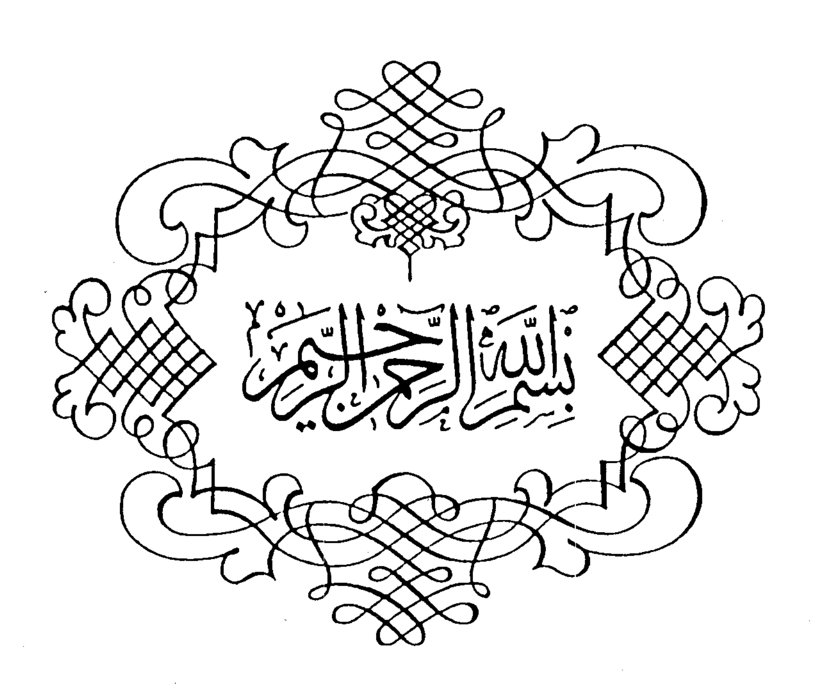
مفتي عام المملكة العربية السعودية

جمع نصوصه وألف بينها

خالد بن سعود العجمي

ص ب: ٣٣١٨٤ - رمز ١١٤٤٨

دار الوطن للنشر


بسم الله الرحمن الرحيم

إيقاظ الهمة
لاتباع نبي الأمة
صلى الله عليه وسلم

الطبعة الثانية

١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

دار الوطن للنشر - الرياض

الرياض ــ ص ب : ٣٣١٠ هاتف : ٤٧٩٢٠٤٢ (٥ خطوط) فاكس : ٤٧٢٣٩٤١

θ البريد الالكتروني : pop@dar-alwatan.com

θ موقعنا على الانترنت : www.dar-alwatan.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء
مكتب المفتي العام للمملكة

الرقم: ١١٢١١٨٤
التاريخ: ١٤١٨/٦/١١هـ
المشفوعات: —
الموضوع:

معالي الأمين العام لهيئة كبار العلماء
وفقه الله

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعده
أشفع لكم رسالة من الأخ في الله خالد بن سعد الحمي
مستفسرة يعولقنا له في طالة الرسول صلى الله عليه
وسلم ونرى إحالتها إلى صاحب الفضيلة
الدكتور صالح الفوزان لمراجعتها وإفادتي
بما نفع الله لنا ولكم ولفضيلته الأجر.
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المفتي العام
٦/



بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
رئاسة
إدارة البحوث العلمية والإفتاء

الرقم : ٢/٢٩٤٥
التاريخ : ١٤١٨/٦/١٤هـ
المشفوعات :
الموضوع :

معالي الشيخ صالح بن فوزان الفوزان وفقه الله

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... وبعد :

فأشفع لمعاليكم توجيه سماحة المفتي العام رقم ١١٨٤/١/د وتاريخ ١٤١٨/٦/١١هـ المتضمن احالة الرسالة المرفقة الواردة من خالد العجمي ومشفوعها مؤلف له في طاعة الرسول ﷺ الى معاليكم لمراجعته ثم الافادة .

وأرجو من معاليكم الاطلاع واتخاذ ما يلزم نحو ذلك وفق الله الجميع لما يرضيه ....

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

الأمين العام لهيئة كبار العلماء

عبدالعزيز بن محمد العبدالمنعم

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته وبعد :
لقد تصفحت الكتاب المذكور ولم يظهر لي عليه أي ملاحظة ، بارك الله فيكم
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

عضو اللجنة الدائمة للإفتاء
صالح بن فوزان
١٤١٨/٨/١٢هـ

رئاسة ... العلماء
... ١٤١٨/٨/١٢هـ



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا.

من يهده اللَّه فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران آية ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [سورة النساء، آية: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الاحزاب، آية: ٧٠ - ٧١].

أما بعـــد ....

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

وبعـــد ...

فإنه نظراً لتهاون كثيرٍ من الناس بأوامر رسول اللَّه ﷺ وإعراضهم عن طاعته وإصرارهم على مخالفة سُنته . . . إلى أن وصل الحال ببعضهم أنه إذا عُرض عليه أمرٌ من أوامره أو نواهيه أو أفعاله ﷺ، تشدق بالقول - هذه سنة



لا يُعاقب تارِكُها . . . وجعل هذا القول وهذه الحجة الواهية ديدنه كلما ذكر له عن رسول اللَّه ﷺ أمر أو نهي. ولو كان ذلك الأمر مقتضاه الوجوبَ، وذلك النهي مقتضاه التحريمَ. لهذا أردت أن أجمع من آيات الكتاب العزيز وأحاديث السنة المطهرة وأقوال السلف الناصحين من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان ماعسىٰ أن يكون فيه البيان والإيضاح والإعانة علىٰ طاعة الله وطاعة رسوله لمن اطلع عليه. وذلك نصحاً للأمة.

واعلم أن من خالف سنة المصطفىٰ رسول الهدىٰ ﷺ، واتبع طريقاً غير طريقه، ومنهجاً غير منهجه، ولم يمتثل أمره ولم ينته لنهيه فإنه والحال هذه يكون مخالفاً لدلالة الشطر الثاني من كلمة التوحيد الركن الأول من أركان الإسلام، ألا وهو قوله: «وأشهد أن محمداً رسول اللَّه» والمعنىٰ [طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، وإجتناب ماعنه نهىٰ وزجر، وأن لا يعبد اللَّه إلا بما شرع] (١) فمن خالف أمره وسار علىٰ غير نهجه هل حقق شهادة «التوحيد»؟.

وإن كتاب اللَّه عزَّ وجلَّ مملوء بالآيات التي تأمر بطاعته ﷺ وتحرم مخالفته. وتقرن طاعته ﷺ بطاعة اللَّه عزَّ وجلَّ، وتدل علىٰ أن من لم يطع رسول اللَّه فما أطاع اللَّه.

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله. (نظرت في المصحف فوجدت فيه طاعة رسول اللَّه ﷺ في ثلاثة وثلاثين موضعاً . . . . (٢)، وقال

---

(١) انظر الأصول الثلاثة لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله. الأصل الثاني: معرفة دين الإسلام بالأدلة.

(٢) أخرجه إبن بطة في الإبانة باب ماجاءت به السنة من طاعة رسول اللَّه ﷺ ١/ ٢٦٠ برقم ٩٧.

الآجري . (ثم فرض على الخلق طاعته ﷺ في نَيِّف وثلاثين موضعاً من كتابه عزَّ وجلَّ) (١) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية . (وقد أوجب اللَّه طاعة الرسول على جميع الناس في قريب من أربعين موضعاً من القرآن وطاعته طاعة لله) (٢) .

كما سيأتي ذكر بعض منها بعون من اللَّه .

ولقد تفضل علينا صاحب الفضل سبحانه وتعالى إذ بعث فينا أفضل رسله وخاتمهم صلوات اللَّه وسلامه عليهم أجمعين . ليُخرجنا من الظلمات إلى النور . كما قال تعالى ﴿**لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ**﴾ [سورة آل عمران، آية : ١٦٤] فما واجب الموصوفين بالإيمان تجاه هذه المنة التي أمتن بها الكريم المنّان ؟ إلا التصديق والإيمان والطاعة والإذعان في كل صغيرة وكبيرة من أوامره ونواهيه عليه الصلاة والسلام .

وإليك الآيات التي توجب عليك طاعة رسول اللَّه ﷺ مُعلِّم الخير والمحذر من سُبل الخسران ، الدالة على «أن السعادة والهدى في متابعة الرسول ﷺ وأن الضلال والشقاء في مخالفته» (٣) . راجيًا من اللَّه أن تكون موصلة لمن جمعها وقرأها وسمعها للتأسي بِسُنة الهادي البشير والسراج المنير ﷺ .

---

(١) الشريعة للأجري . باب : التحذير من طوائف تعارض سنن النبي ﷺ بكتاب اللَّه عز وجل . صحيفة ٤٩ .

(٢) مجموع الفتاوى ١٩/ ٨٣-٢٦١ .

(٣) مجموع الفتاوى ١٩/ ٩٣ .

والآيات في هذا الموضوع تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

الأول : أمرٌ من اللَّه بطاعته وطاعةِ رسوله ﷺ وإرشادٌ إليها .

الثاني : وعدٌ وثناءٌ من اللَّه لمن أطاعه وأطاع رسوله ﷺ وبيانٌ لحُسن عاقبة أمره، وأنها إلى رضى اللَّه والجنة .

الثالث : ذمٌ ووعيدٌ من اللَّه لمن عصى أمره وأمر رسوله ﷺ، وبيانٌ لسوء عاقبة أمره، وإنها إلى سخط اللَّه والنار .

آيات القسم الأول. الأمر والإرشاد :

الآية الأولى: قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً** ﴾ [سورة النساء، آية : ٥٩] .

قال ابن جرير : أي ياأيها الذين آمنوا أطيعوا اللَّه ربكم فيما أمركم به وفيما نهاكُم عنه . وأطيعوا رسوله محمداً ﷺ . فإنّ في طاعتكم إياه لربكم طاعة، وذلك أنكم تطيعونه لأمر اللَّه إياكم بطاعته .

وعن عطاء في قوله ﴿ **أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ** ﴾ قال : طاعة الرسول إتباع سُنته، وعنه أيضاً قال : «طاعة الرسول اتباع الكتاب والسُنة» (١) (٢) .

قال ابن كثير : ﴿ **أَطِيعُوا اللَّهَ** ﴾ أي أتبعوا كتابه ﴿ **وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ** ﴾ أي خذوا بسُنته ﴿ **وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ** ﴾ أي فيما أمروكم به من طاعة اللَّه لا في معصية اللَّه . فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية اللَّه . انتهى .

---

(١) أخرجه الدارمي في السنن باب الاقتداء بالعلماء حديث رقم ٢١٩ .

(٢) جامع البيان عند هذه الآية .

قال شيخ الإسلام : و «أولو الأمر» أصحاب الأمر وذووه. وهم الذين يأمرون الناس. وذلك يشترك فيه أهل اليد والقدرة وأهل العلم والكلام، فلهذا كان أولوا الأمر صنفين : العلماء، والأمراء. فإذا صَلَحوا صلح الناس، وإذا فسدوا فسد الناس. كما قال أبوبكر الصديق رضي اللَّه عنه للأحمسية لّما سألته : مابقاؤنا على هذا الأمر ؟ قال : ماستقامت لكم أئمتكم» (١) ويدخل فيهم الملوك والمشايخ وأهل الديوان. وكل من كان متبوعاً فانه من أولي الأمر، وعلى كل واحد ممن عليه طاعته أن يطيعه في طاعة الله، ولا يطيعه في معصية اللَّه. كما قال أبوبكر الصديق رضي اللَّه عنه حين تولى أمر المسلمين وخطبهم فقال في خطبته : «أيها الناس .... اطيعوني ماأطعت الله، فإذا عصيت اللَّه فلا طاعة لي عليكم» (٢). وقوله : ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ قال مجاهد وغير واحد من السلف : (أي إلى الكتاب وسنة الرسول)، وهذا أمر من اللَّه عزَّ وجلَّ بأن كل شيء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه أن يرد التنازع في ذلك إلى الكتاب والسُنة كما قال تعالى : ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [سورة الشورى، آية: ١٠] فما حكم به الكتاب والسُنة وشهدا له بالصحة فهو الحقّ وماذا بعد الحق إلا الضلالُ ولهذا قال تعالى : ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ أي ردوا الخصومات والجهالات إلى كتاب اللَّه وسنة رسوله، فتحاكموا إليهما فيما شجر بينكم ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ فدل على أن من لم يتحاكم في محل النزاع إلى الكتاب والسُنة، ولا يرجع إليهما في ذلك فليس مؤمناً بالله واليوم الآخر، وقوله : ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾

---

(١) انظر فتاوى شيخ الاسلام ٢٨/ ١٧٠، وكتاب الاستقامة له ٢/ ٢٩٥-٢٩٦.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في الصحيح ٧/ ١٨٢ برقم ٣٨٣٤ فتح، وأخرجه الدارمي في السنن باب في كراهية أخذ الرأي ١/ ٨٢ برقم ٢١٢.



أي التحاكم إلىٰ كتاب اللَّه وسنة رسوله. والرجوع إليهما في فصل النزاع خير ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ أي وأحسن عاقبة ومآلاً كما قال السُدّي وغير واحد. وقال مجاهد: وأحسن جزاء وهو قريب(١).

الآية الثانية، قال تعالىٰ: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [سورة النساء، آية: ٦٥]، فلمّا نفى الإيمان حتىٰ تُوجد هذه الغاية، دل علىٰ أن هذه الغاية فرضٌ علىٰ الناس، فمن تركها كان من أهل الوعيد، لم يكن قد أتىٰ بالإيمان الواجب الذي وُعد أهله بدخول الجنة بِلا عذاب. فإنّ اللَّه إنما وعد بذلك مَنْ فعل ما أمر به. وأمّا من فعل بعض الواجبات وترك بعضها فهو معرّضٌ للوعيد.

ومعلوم باتفاق المسلمين أنه يجب (تحكيم الرسول) في كلّ ماشَجَر بين النَّاس في أَمر دِينهم ودُنْياهم، في أصول دينهم وفروعه، وعليهم كلهم إذا حكم بشيء أن لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما حكم ويُسلّموا تسليما (٢).

قال ابن كثير: وقوله ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ يقسم تعالىٰ بنفسه الكريمة المقدسة إنه لا يؤمن أحد حتىٰ يُحّكم الرسول ﷺ في جميع الأمور، فما حَكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطناً وظاهراً. ولهذا قال. ﴿ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ أي إذا حكّموك يطيعونك في بواطنهم فلا يجدون في أنفسهم حرجاً مما حكمت به وينقادون له في الظاهر والباطن فيسلمون لذلك

---

(١) قاله ابن كثير في تفسيره عند هذه الآية.

(٢) قاله شيخ الاسلام في الفتاوىٰ ٧/ ٣٧-٣٨.

تسليماً كلياً من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة.

وأخرج الطبري بسنده عن الضحّاك في قوله: ﴿ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ﴾ قال: إثما، ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ يقول: ويسلموا لقضائك وحكمك إذعاناً منهم بالطاعة، وإقراراً لك بالنبوة تسليماً. إنتهى.

ومن التسليم له ﷺ الرضى بحُكمه والعمل بسُنته وقبولها والإنقياد لها ومحبتها.

ولذا قال شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه اللّه. إعلم أن نواقض الإسلام عشرة، وذكر منها. الخامس: مَن أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به كَفَرَ [(١)]. إنتهى. قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [سورة محمد، آية: ٩] وقال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [سورة محمد، آية: ٢٨].

الآية الثالثة، قال تعالى: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [سورة النساء، آية: ٨٠].

وهذا إعذار من اللّه إلى خلقه في نبيه محمد ﷺ. يقول تعالى ذكره لهم. من يطع منكم أيها الناس محمداً، فقد أطاعني بطاعته إياه فاسمعوا قوله، وأطيعوا أمره، فإنه مهما يأمركم به من شيء فمِنْ أمري يأمركم، وما نهاكُم عنه من شيء فمن نهيي، فلا يقولن أحدكم إنما محمدٌ بشرٌ مثلُنا يريد أن يتفضل علينا. ثم قال جل ثناؤه لنبيه: ومَن تولى عن طاعتك يامحمد فأعرض عنه فإنا لم نرسلك عليهم حفيظاً. يعني حافظاً لما يعملون محاسباً.

---

(١) كتاب نواقض الاسلام للإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه اللّه.



بل إنما أرسلناك لتبين لهم ما نُزِّل إليهم. وكفى بنا حافظين لاعمالهم ولهم عليها مُحاسِبين [١]. إنتهى.

وقال ابن كثير: يخبر تعالى عن عبده ورسوله محمد ﷺ بأن من أطاعه فقد أطاع اللّه ومن عصاه فقد عصى اللّه. وماذاك إلا لأنه ماينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يُوحى. قال رسول اللّه ﷺ: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ...» وهذا الحديث ثابت في الصحيحين وقوله. ﴿وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ أي ماعليك منه إنْ عليك إلا البلاغ، فمَن اتبعك سَعُد ونجا وكان لك من الأجر نظيرُ ما حصل له. ومن تولى عنك خاب وخسر وليس عليك من أمره من شيء.

الآية الرابعة، قال تعالى: ﴿**وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ**﴾ [سورة المائدة، آية: ٩٢].

قال الطبري، يقول تعالى ذكره: إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه، وأطيعوا اللّه وأطيعوا الرسول في اجتنابكم ذلك واتباعكم أمره فيما أمركم به من الانزجار عما زجركم عنه من هذه المعاني التي بينها لكم في هذه الآية وغيرها. وخالِفُوا الشيطانَ في أمره إياكم بمعصية اللّه في ذلك وفي غيره، فإنه إنما يبغي لكم العداوةَ والبغضاءَ بينكم بالخمر والميسر ﴿وَاحْذَرُوا﴾. يقول: واتقوا اللّه وراقبوه ان يراكم عندما نهاكُم عنه من هذه الأمور التي حرمها عليكم في هذه الآية وغيرها. أو يَفقدكم عندما أمركم به فتوبقوا أنفسكم وتُهلكوها. ﴿**فَإِن تَوَلَّيْتُمْ**﴾ يقول: فان أنتم لم تعملوا بما أمرناكم به، وتنتهوا عما نهيناكم عنه،

---

(١) قاله ابن جعفر الطبري في جامع البيان عند هذه الآية.

ورجعتم مدبرين عما أنتم عليه من الإيمان والتصديق بالله وبرسوله واتباع ماجاءكم به نبيكم. ﴿ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾. يقول : فاعلموا أنه ليس على من أرسلناه إليكم بالنذارة غير بلاغكم الرسالة التي أُرسل بها إليكم، مبينة لكم بياناً يوضح لكم سبيل الحق، والطريق الذي أُمرتم أن تسلكوه، وأما العقاب على التولية والانتقام بالمعصية فعلى المُرسَل إليه. دون الرسل وهذا من اللّه تعالى وعيد لمن تولى عن أمره ونهيه. يقول لهم تعالى : فإن توليتم عن أمري ونهيي فتوقعوا عقابي واحذروا سخطي[١]. إنتهى.

وفي هذه الآية قَرَن اللّه طاعة رسوله بطاعته وعطفها عليها. وماذاك إلا لأن في طاعته ﷺ طاعةً لله ولأن محمداً ﷺ يسير على طريق ومنهاج إختاره وحدد معالمه الحكيم العليم ﴿ قل إن اتبع إلا مايوحى إلي ﴾ فإن كل عمله ﷺ في رضاء الله، وكلُ فعلِه وقولِه شرعٌ. فيتقرب إلى اللّه بفعل فعله وقول قوله.

قال الحافظ ابن كثير : في قوله تعالى ﴿ وَاحْذَرُوا ﴾ أي أن تزيدوا فتكونوا مبتدعين فيما شرع اللّه عزَّ وجلَّ وجاء به الرسول الأمين ﷺ، أو تُقصروا فتكونوا معطلين لشيء من شرائع الدين التي فرضها اللّه عليكم. إنتهى.

قال الإمام ابن القيم رحمه اللّه : فحقيقة التعظيم للأمر والنهي أن لا يُعارض بترخص جاف، ولا يعارض بتشديد غالٍ، فإن المقصود هو الصراط المستقيم الموصل إلى اللّه عزَّ وجلَّ بسالكه.

---

(١) قاله ابو جعفر الطبري رحمه اللّه في جامع البيان عند تفسيره لهذه الآية.



وما أَمر اللَّه عزَّ وجلَّ بأَمرٍ إلا وللشيطان فيه نزعتان : إما تقصير وتفريط وإما إفراط وغلو ، فلا يبالي بما ظفر من العبد من الخطيئتين . فإنه يأتي إلىٰ قلب العبد فيُشامّه ، فإن وجد فيه تقصيراً وفتوراً أو توانياً وترخيصاً أخذه من هٰذه الخطة ، فثبّطه وأَقعده ، وضربه بالكسل والتواني والفتور ، وفتح له باب التأويلات والرجاء وغير ذلك ، حتىٰ ربما ترك العبد المأمور جملة .

وإن وجد عنده حذراً وجداً ، وتشميراً ونهضة ، وأَيس أن يأخذه من هذا الباب ، أَمره بالاجتهاد الزائد ، وسوَّل له أن هذا لا يكفيك ، وهمتك فوق هذا ، وينبغي لك أن تزيد علىٰ العاملين ، وأن لا ترقد إذا رقدوا ، ولا تفطر إذا أفطروا ، وان لا تَفْتُر إذا فَتَرُوا ، وإذ اغسل أحدهم يديه ووجهه ثلاث مرات فاغسل أنت سبعاً ، وإذا توضؤوا للصلاة فاغتسل أنت لها ، ونحو ذلك من الإفراط والتعدِّي . فيحمله علىٰ الغلوِّ والمجاوزة وتعدي الصراط المستقيم ، كما يحمل الأول علىٰ التقصير دونه وأن لا يقر به ، ومقصوده من الرجلين إخراجهما عن الصراط المستقيم ، هذا بأن لا يقربه ولا يدنو منه ، وهذا بأن يجاوزه ويتعداه ، وقد فُتن بهذا أكثر الخلقِ . ولا يُنجي من ذلك إلا عِلمٌ راسخ ، وإيمان وقوة علىٰ محاربته ولزوم الوسط ، والله المستعان [1] .

الآية الخامسة، قال تعالىٰ : ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ [سورة الأنعام آية ١٥٣] .

قال ابن عباس في قوله ﴿ **وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ** ﴾ وفي

(١) قاله في كتاب الوابل الصيب . فصل في علامات تعظيم المناهي ص ٢٤ ٢٥ .

قوله ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ ولا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورىٰ، آية: ١٣]. ونحـو هذا في القرآن، قال: أمر اللَّه المؤمنين بالجماعة، ونهاهم عن الاختلاف والتفرقة وأخبرهم أنه إنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين اللَّه (١).

وعن عبدالله بن مسعود رضي اللَّه عنه قال: خط رسول اللَّه ﷺ خطاً بيده ثم قال: «هذا سبيل اللَّه مستقيماً» وخط عن يمينه وشماله ثم قال: «هذه السُبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه» ثم قرأ ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ (٢).

وعن أبان أن رجلاً قال لابن مسعود: ما الصراط المستقيم؟ قال تركنا محمد ﷺ في أدناه، وطرفه في الجنة، وعن يمينه جواد، وعن يساره جواد، وثَم رجال يدعون من مر بهم. فمن أخذ في تلك الجَواد انتهت به إلىٰ النار ومن أَخذ علىٰ الصراط إنتهىٰ به إلىٰ الجنة. ثم قرأ ابن مسعود ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً...﴾ الآية(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللَّه (وإذا تأمل العاقل ـ الذي يرجو لقاء اللَّه ـ هذا المثال، وتأمل سائر الطوائف من الخوارج، ثم المعتزلة، ثم

---

(١) تفسير ابن كثير عند هذه الآية.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ١/ ٤٣٥، ٤٦٥ ـ ٣/ ٣٩٧، والدارمي في السنن باب كراهية أخذ الرأي حديث رقم ٢٠٢، وابن ابي عاصم في السنة حديث رقم ١٧، وابن جرير الطبري في جامع البيان عند هذه الآية وأخرجه ايضاً الطيالسي في مسنده برقم ٢٤٤، والحاكم في المستدرك ٢/ ٢٣٩، وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وأخرجه ابن نصر في السنة برقم ١١.

وقال الشيخ الألباني اسناده حسن، انظر السنة لابن ابي عاصم.

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري عند تفسير هذه الآية ـ وعزاه الحافظ ابن كثير للحافظ ابن مردوية.



الجهمية، والرافضة، ومن أقرب منهم إلى السنة من أهل الكلام، مثل الكرامية والكلابية والاشعرية وغيرهم، وإن كلا منهم له سبيل يخرج به عما عليه الصحابة وأهل الحديث، ويدّعي أن سبيله هو الصواب ـ وجدت أنهم المراد بهذا المثال الذي ضربه المعصوم، الذي لا يتكلم عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى. الفتاوى ٤/ ٥٧.

وقال قبل هذا (وعامة هذه الضلالات إنما تطرق من لم يعتصم بالكتاب والسنة، كما كان الزهري يقول: كان علماؤنا يقولون: الاعتصام بالسنة هو النجاة، وقال مالك «السنة سفينة نوح، معن ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق)

وذلك أن السنة والشريعة والمنهاج: هو الصراط المستقيم الذي يوصل العباد إلى الله. والرسول: هو الدليل الهادي الخريت [١] في هذا الصراط، كما قال تعالى: ﴿**إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً**﴾ .... الفتاوى ٤/ ٥٦ ـ ٥٧.

وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه، عن الرسول ﷺ قال: «ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً وعن جنبتي الصراط سوران، فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستورٌ مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول يا أيها الناس ادخلوا الصراط المستقيم جميعاً ولاتفرقوا وداع يدعو من فوق الصراط فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال: «ويحك لا تفتحه فإنك إن تَفتَحْه تَلِجْه. فالصراطُ الإسلام، والسوران حدود الله، والأبواب المفتحةُ محارم الله، وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله،

---

(١) والخريت. الدليل الحاذق بالدلالة. المعجم الوسيط ص ١٩٣.



والداعي من فوق الصراط واعظ اللّه في قلب كل مسلم»[١].

قال أبوجعفر الطحاوي. رحمه اللّه: فتأملْناً هذا الحديث فوجدنا كلّ مافيه مكشوف المعنى، غير مافيه من «واعظ اللّه في قلب كل مسلم» فإنا احتجنا إلى الوقوف على حقيقته ماهو، فنظرنا في ذلك فوجدنا الواعظَ من الآدميين هو الذي ينهى الناس عن الوقوع فيما حرم اللّه تعالى عليهم.

«فعقلنا» بذلك أن مثله في قلب المسلم هي حجةُ اللّه تعالى التي تنهاه عن الدخول فيما منعه اللّه وحرّمه عليه. وإنما هي واعظ اللّه في قلبه من البصائر التي جعلها اللّه تعالى فيه والعلوم التي أودعه اللّه تعالى إياها، فيكون نهيها إياه عن ذلك وزجرها إياه عنه كنهي غيرها من الناس بالذي في قلوبهم مثلها إياه عن ذلك والله نسأله التوفيق. مشكل الاثار ٣/ ٣٦ - ٣٧.

وقوله تعالى: ﴿فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ إنما وحد سبيله لأن الحق واحد. ولهذا جمع السّبُل لتفرقها وتشعبها[٢]. وعن مجاهد ﴿وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ قال. البدع والشبهات[٣].

الآية السادسة، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤/ ١٨٢. والحاكم في المستدرك ١/ ٧٣، وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وأخرجه الطحاوي في مشكل الآثار ٣/ ٣٥. وغيرهم

وقال الشيخ الألباني «صحيح» صحيح الجامع حديث رقم ٣٨٨٧.

(٢) قاله ابن كثير في التفسير.

(٣) أخرجه الدارمي في سننه باب كراهية أخذ الرأي حديث رقم ٢٠٣ وابن نصر المروزي في السنة رقم ١٩ - ٢٠.

إذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [سورة الانفال، اية : ٢٤]. معناها استجيبوا لله وللرسول بالطاعة إذا دعاكم الرسول لما يُحْيِيكم من الحق (١). وبادروا إلى الاستجابة قبل أن لا تتمكنوا منها، بحيلولة الله بينكم وبين قلوبكم التي تعلقون بها، إما بالموت الذي كتبه الله عليكم(٢)، أو بما يحل فيها من الزيغ والفساد، نتيجة تشربها بالفتن والمعاصي والإعراض عن الله ورسوله ﷺ: **﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾** [المطففين: ١٤].

قال رسول الله ﷺ: «تُعرض الفتن على القلوب عرض الحصير [عودًا عودًا] فأيُّ قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء، وأيُّ قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء، حتى يصير القلب على قلبين، أبيض مثل الصفا، لا تضُرُّه فتنة مادامت السموات والأرض، والآخر أسود مربد كالكوز مجخيًا، ـ وأمال كفه(٣) ـ لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا إلا ما أشرب من هواه»(٤).

فهذا القلب الذي شبهه رسول الله ﷺ بالكوز المجخي، هو القلب الذي حيل بينه وبين الاستجابة لله والتوفيق لطاعته.

وهذا إعذار من الله عز وجل إلى جميع المكلفين، فمن أعرض عن الاستجابة له سبحانه ولرسوله ﷺ، فلم يعمل بالطاعة ويجتنب المعصية. فحيل بينه وبين قلبه، فلا يلومن إلا نفسه.

---

(١) قاله ابن جرير الطبري في جامع البيان.

(٢) مستفاد من كلام الشوكاني. فتح القدير ٢/ ٣٧٢.

(٣) أي حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما، فإنه راوي الحديث.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٥/ ٣٨٦. واللفظ له إلا ما بين المعكوفتين فللإمام مسلم فقد أخرجه في الصحيح كتاب الفتن ١٢/ ١٧٠ـ ١٧١ـ ١٧٢. نووي.

فالإنسان يُعرض عن الاستجابة لله ولرسوله في بادئ أمره مع تهيؤ أسبابها وتمكنه منها، فلا يلبث إلا وقد حيل بينه وبين قلبه، فلا يوفق للاستجابة ولو أرادها، ذلك بشؤم الإعراض السابق، قال تعالى: ﴿ فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ﴾، وقال تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: فتضمنت هذه الآية أموراً:

أحدها: أن الحياة النافعة إنما تحصل بالاستجابة لله ولرسوله. فمن لم تحصل له هذه الإستجابة فلا حياة له، وإن كانت له حياة بهيمية مشتركة بينه وبين أرذل الحيوانات، فالحياة الحقيقية الطيبة هي حياة من إستجاب لله ظاهراً وباطنًا، فهؤلاء هم الأحياء وإن ماتوا، وغيرهم أمواتٌ وإن كانوا أحياء الأبدان.

ولهذا كان أكمل الناس حياة أكملهم إستجابة لدعوة الرسول، فإن كل ما دعا إليه ففيه الحياة فمن فاته جزء منه فاته جزء من الحياة وفيه من الحياة بحسب ما إستجاب للرسول . . .

وقوله: ﴿ واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه ﴾. المشهور في الآية أنه يحول بين المؤمن وبين الكفر، وبين الكافر وبين الإيمان، ويحول بين أهل طاعته وبين معصيته، وبين أهل معصيته وبين طاعته. وهذا قول ابن عباس وجمهور المفسرين . . .

[وعلى هذا القول] فوجه المناسبة: أنكم إن تثاقلتهم عن الاستجابة وأبطأتم عنها فلا تأمنوا أن الله يحول بينكم وبين قلوبكم فلا يمكنكم بعد ذلك من الاستجابة عقوبة لكم على تركها بعد وضوح الحق وإستبانته. فيكون



كقوله: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ وقوله: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾، وقوله: ﴿ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ ﴾. ففي الآية تحذير عن ترك الاستجابة بالقلب وإن إستجاب بالجوارح(١).

وقوله تعالىٰ: ﴿ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ أي: واعلموا أيها المؤمنون أيضًا مع العلم بأن الله يحول بين المرء وقلبه، أن الله الذي يقدر علىٰ قلوبكم، وهو أملك بها منكم، إليه مصيركم ومرجعكم في القيامة فيوفيكم جزاء أعمالكم، المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، فاتقوه وراقبوه فيما أمركم ونهاكم هو ورسوله أن تضيعوه، وأن لا تستجيبوا لرسوله إذا دعاكم لما يحييكم فيوجب ذلك سخطه وتستحقوا به أليم عذابه حين تحشرون إليه(٢).

وعن أبي سعيد بن المعلىٰ رضي اللّه عنه. قال كنت أُصلي فمر بي رسول اللّه ﷺ، فدعاني فلم آته حتىٰ صليت ثم أتيته فقال: «مامنعك أن تأتيني» فقال: إني كنت أصلي قال «ألم يقل اللّه تبارك وتعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾(٣) الحديث.

قال أبو جعفر الطحاوي رحمه اللّه بعد أن ساق الحديث بسنده: ففيما روينا عن رسول اللّه ﷺ إيجابه علىٰ من دعاه وهو يصلي إجابته وترك صلاته وذلك أولىٰ به من تماديه في صلاته مما يُلام عليه مما أَنزل اللّه عزَّ وجلَّ

---

(١) كتاب الفوائد، ص١٠٠ وما بعدها بتصرف.

(٢) قاله الإمام ابن جرير الطبري في جامع البيان ٦/ ١/ ٢١٧.

(٣) أخرجه البخاري حديث رقم ٤٤٧٤. والإمام أحمد في المسند ٣/ ٤٥٠، وأخرجه غيرهما عن أُبي بن كعب رضي اللّه عنه.

عليه، إذ كان المصلي قد يقدر أن يخرج من صلاته إلى الفضل الذي يصيبه في إجابته رسول اللّه ﷺ لما دعاه له [١].

وقال الداودي: والذي تأول القاضيان عبدالوهاب وأبوالوليد، أن إجابة النبي ﷺ في الصلاة فرض يعصي المرء بتركه وأنه حكم يختص بالنبي ﷺ [٢].

وقال السيوطي في الخصائص الكبرى: [باب اختصاصه ﷺ بأن المصلى . . . . يجب عليه إجابته إذا دعاه ولا تبطل صلاته] ٢/ ٢٥٣.

فإن قال قائل: رسول اللّه ﷺ قد مات ولم يعد من أهل الدنيا ولن ينادي أحداً منا وهو يصلي فلماذا تنقل هذه النقول مع عدم الحاجة إليها؟!.

فالجواب: إذا كان رسول الله ﷺ قد لام من ترك الاستجابة له مع أنه كان في صلاة، عُلم من ذلك أنه لن يكون لغير عذراً ـ من باب أولى ـ إذا لم يستجب لأمره وإذا تجاسر على نهيه.

الآية السابعة، قال تعالى: ﴿ **قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ** ﴾ [سورة النور، آية: ٥٤].

يقول تعالى ذكره: ﴿**قُلْ**﴾ يامحمد لهؤلاء المقْسِمين بالله جَهْد أيمانهم لئن أمرتهم ليُخرجُن، وغيرهم من أمتك ﴿**أَطِيعُوا اللَّهَ**﴾ أيها القوم فيما أمركم به، ونهاكُم عنه ﴿**وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ**﴾ فإن طاعته لله طاعة. ﴿**فَإِن تَوَلَّوْا**﴾ يقول

---

(١) مشكل الآثار ١/ ٤٦٨.

(٢) فتح الباري ٨/ ٨.

فإن تُعرضوا وتدبروا عمّا أمركم به رسول اللَّه ﷺ أو نهاكُم عنه، وتأبوا أن تُذعنوا لحكمه لكم وعليكم ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ﴾ يقول : فإنما عليه فعل ما أُمر بفعله، من تبليغ رسالة اللَّه إليكم على ماكلفه من التبليغ. ﴿وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾ يقول : وعليكم أيها الناس أن تفعلوا ما ألزمكم وأوجب عليكم، من اتباع رسوله ﷺ والانتهاء إلى طاعته فيما أمركم ونهاكُم.

وقوله : ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ يقول تعالى ذكره : وإن تطيعوا أيها الناس رسولَ اللَّه فيما يأمركم وينهاكُم ترشدوا، وتصيبوا الحق في أموركم ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ يقول : وغير واجب على من أرسله اللَّه الى قوم برسالة إلا أن يبلغهم رسالته، بلاغاً يبين لهم ذلك البلاغ عمّا أراد اللَّه به، يقول فليس على محمد أيها الناس إلا أداء رسالة اللَّه إليكم. وعليكم الطاعة، وإن أطعتموه فلحظوظ أنفسكم تصيبون، وإن عصيتموه فلأنفسكم توبقون (١).

قال أبو عثمان النيسابوري : من أمر السُنة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة، ومن أمر الهوى على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالبدعة، لأن اللَّه يقول : ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ (٢).

قال الزهري : من اللَّه الرسالةُ وعلى الرسول البلاغُ وعلينا التسليم(٣).

---

(١) قاله ابو جعفر الطبري في جامع البيان.

(٢) فتاوىٰ شيخ الاسلام ١٤/ ٢٤١.

(٣) علقه البخاري في الصحيح ١٣/ ٥١٢ الفتح. وأخرجه الخلال في السنة صحيفة ٥٧٩ برقم ١٠٠١ عن الزهري بلفظ «من الله عز وجل العلم وعلى الرسول . . . . . .» وبهذا اللفظ نقله ابن كثير في تفسيره عن الزهري عند تفسير الآية ١٢ من سورة التغابن ٤/ ٤٠١. وذكره الإمام إسماعيل بن عبدالرحمن الصابوني في كتابه القيم عقيدة السلف، ص ٥٢.



وعن بعض السلف : قدم الإسلام لا تثبت إلا علىٰ قنطرة التسليم .

الرسول ﷺ حُمل تبليغ الرسالة ولقد أداها علىٰ أكمل وجه ، ونصح للأمة أتم النصح ، وأدىٰ ما حُمل بشهادة ربه ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ﴾ وبشهادة أصحابه بعد أن يستشهدهم «هل بلغت» فيقولون «اللهم نعم» [(١)] ونحن علىٰ مثل ماشهدوا شاهدون .

فيا أمة الإسلام : هل أدينا ما حُملنا ؟

وهل حققنا طاعة رسولنا ﷺ وسرنا علىٰ منهاجه وطريقه واقتفينا اثره وسُنته ؟

الآية الثامنة، قال تعالىٰ : ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً** ﴾ [الاحزاب، آية: ٢١]. هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول اللّه ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله[(٢)] .

الآية التاسعة، قال تعالىٰ : ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا** ﴾ [الاحزاب، آية: ٣٦] .

قال ابن كثير رحمه اللّه : فهذه الآية عامة في جميع الأمور ، وذلك أنه إذا حكم اللّه ورسوله بشيء فليس لأحد مخالفته ، ولا اختيار لأحد هاهنا ولا رأي ولا قول .

---

(١) كما في حديث جابر بن عبدالله في وصفه لحجة النبي ﷺ . أخرجه الامام مسلم ٨/ ١٨٤ النووي .

(٢) قاله الحافظ ابن كثير عند تفسير هذه الآية .



وقال ابن جرير الطبري رحمه اللّه : يقول تعالىٰ ذكره : لم يكن لمؤمن بالله ورسوله ، ولا مؤمنة إذا قضىٰ اللّه ورسوله في أنفسهم قضاء أن يتخيروا من أمرهم غير الذي قضىٰ فيهم ويخالفوا أمر اللّه وأمر رسوله وقضاءهما فيعصوهما(١) ، ومن يعص اللّه ورسوله فيما أمرا أو نهيا «فقد

(١) وهذا الجمع بين اللّه وأحد من خلقه في الضمير المقتضي للتسوية ، قد جاء فيه النهي عن رسول اللّه ﷺ في صحيح الإمام مسلم وغيره . من حديث عدي بن حاتم رضي اللّه عنه . (أن رجلاً خطب عند النبي ﷺ . فقال : (من يطع اللّه ورسوله فقد رشد ، ومن يعصهما فقد غوىٰ) فقال رسول اللّه ﷺ : «بئس الخطيب أنت ، قل . ومن يعص اللّه ورسوله» .

قال الألباني . فانت ترىٰ أنه ﷺ أنكر علىٰ الخطيب قوله . (ومن يعصهما) .

قال النووي : قال القاضي وجماعة من العلماء : إنما أنكر عليه لتشريكه في الضمير المقتضي للتسوية ، وأمره بالعطف تعظيماً لله تعالىٰ بتقديم اسمه كما قال ﷺ في الحديث الآخر : «لا يقل أحدكم ماشاء اللّه وشاء فلان ولكن ليقل . ماشاء اللّه ثم شاء فلان» انتهىٰ .

فإن قال قائل . قد تكرر علىٰ لسان رسول اللّه ﷺ هذا الضمير المقتضي ظاهره التسوية في احاديث مثل قوله : «أن يكون اللّه ورسوله أحب اليه مما سواهما» وغيره .

فالجواب ـ ماقاله العلامة ناصر الدين الالباني في كتاب خطبة الحاجة .

قال ـ وغاية مافيه أن ذلك وقع منه ﷺ ، لكن ليس فيه تعليم منه ﷺ لأمته ، وحينئذ فلا يعارض حديث عدي بن حاتم المتقدم ، لما تقرر في الأصول أن القول مقدم علىٰ الفعل عند التعارض .

فيجوز ذلك له عليه السلام ، دون أمته ، وحكمة هذا الفرق واضحة . ذلك لأنه ﷺ ليس في المحل الذي يظن من كلامه أنه يريد به مالا يليق بمقام الربوبية والألوهية ، بخلاف غيره ﷺ ، فقد يظن به ذلك . فأمر ﷺ باجتناب الشبهات ، والإفصاح عن المراد ، علىٰ أساس قوله ﷺ : «دع مايريبك إلىٰ مالا يريبك» . . . . =

ضل ضلالاً مبيناً» يقول. فقد جار عن قصد السبيل وسلك غير سبيل الهدىٰ والرشاد.

وعن ابن عباس رضي اللّٰه عنهما في سبب نزول هذه الآية، قال: وذلك أن رسول اللّٰه ﷺ انطلق يخطب علىٰ فتاهُ زيد بن حارثة، فدخل علىٰ زينب بنت جحش الأسدية، فخطبها، فقالت: لست بناكحته، فقال رسول اللّٰه ﷺ: «بلىٰ فانكحيه» قالت يارسول اللّٰه أؤامر في نفسي؟، فبينما هما يتحدثان أنزل اللّٰه هذه الآية علىٰ رسوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾ إلىٰ قوله: ﴿ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ قالت: قد رضيته لي يارسول اللّٰه منكحا؟ قال: «نعم» قالت: إذن لا أعصي رسول الله، قد انكحته نفسي» (١).

الآية العاشرة، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [سورة الحشر، آية: ٧]. أي مهما أمركم به فافعلوه، ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه، فإنه إنما يأمر بخير وإنما ينهىٰ عن شر. قاله ابن كثير.

= وقال العز بن عبدالسلام. (من خصائصه ﷺ أنه كان يجوز له الجمع في الضمير بينه وبين ربه تعالىٰ. وذلك ممتنع علىٰ غيره، قال: إنما يمتنع من غيره دونه لان غيره إذا جمع أوهم اطلاق التسوية، بخلافه هو فإن منصبه لا يتطرق إليه إيهام ذلك) حاشية السندي علىٰ سنن النسائي ٦/ ٩٢. والخلاصة أن التشريك في الضمير بين اللّٰه وأحد من خلقه، كان خاصاً برسول اللّٰه ﷺ لما سبق بيانه. وأنه لا يجوز ذلك لأحد من افراد الأمة كائناً من كان واللّٰه أعلم.

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان ٢٢/ ١١ والطبراني في المعجم الكبير ٢٤/ ٤٥ برقم ١٢٣-١٢٤.
وقال صاحب المجمع ٧/ ٩٢ رواه الطبراني بأسانيد ورجال بعضها رجال الصحيح.
وقال جلال الدين المحلّىٰ. اخرج الطبراني بسند صحيح فذكره. انظر تفسير الجلالين عند هذه الآية.

والآية وإن كانت نزلت في تقسيم الغنائم إلا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. وفي الآية أمر من اللّه لكل مسلم بطاعة الصادق الأمين ﷺ والعمل بأمره، حتىٰ وإن كره ذلك الأمر وجهل عاقبته. وبأن ينتهي عما نهاه عنه وإن استحسنه وظن أن عاقبته خير له. فإن رسول اللّه ﷺ بأحوال أمته وما ينفعهم ويضرهم أعلمُ بما علمه اللّهُ كما في الصحيح أنه ﷺ قال: «إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته علىٰ خير مايعلمه لهم، وينذرهم شر مايعلمه لهم».

وقال أبو الفداء في قوله تعالىٰ: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ أي اتقوه في امتثال أوامره وترك زواجره، فإنه شديد العقاب لمن عصاه وخالف أمره وأباه وارتكب ماعنه زجره ونهاه.



جـزاء المطيعين

القسم الثاني : الآيات التي اشتملت على ثناء اللَّه على من أطاعه وأطاع رسوله ﷺ، ووعده إياهم بحسن العاقبة، وأنها إلى رضاه والجنة. ومنها :

الآية الأولى، قوله تعالى : ﴿**بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ [سورة البقرة، آية : ١١٢].

قال شيخ الإسلام رحمه اللَّه : وهذان الوصفان وهما إسلام الوجه لله، والإحسان هما الأصلان المتقدمان وهما : كون العمل خالصاً لله، صوابا : موافقاً للسنة والشريعة. وذلك أن إسلام الوجه لله هو متضمن للقصد والنية لله. فإذا كان العبد قصده ومراده وتوجهه إلى اللَّه فهذا صلاح إرادته وقصده فإذا كان مع ذلك محسناً فقد اجتمع أن يكون عمله صالحاً لا يشرك بعبادة ربه أحداً.

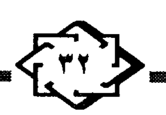
والعمل الصالح هو الإحسان، وهو فعل الحسنات، وهو ما أمر اللَّه به، والذي أمر اللَّه به هو الذي شرعه الله، وهو الموافق لسنة اللَّه وسنة رسوله فقد أخبر اللَّه تعالى أنه من أخلص قصده لله وكان محسناً في عمله فإنه مستحق للثواب سالم من العقاب. إنتهى (١).

وقال الشيخ عبداللطيف (٢) رحمه اللَّه : فإسلام الوجه لله هو

---

(١) الفتاوى ٢٨/ ١٧٥ ـ ١٧٦ ـ ١٧٧.

(٢) هو الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن شيخ الاسلام المجدد الامام محمد ابن عبدالوهاب رحمهم اللَّه وأجزل مثوبتهم وجزاهم اللَّه عن الامة خير الجزاء =



عبادته، والكفر بعبادة من سواه، وهذا معنى شهادة أن لا إله إلا اللَّه. وهذه الكلمة تتضمن العلم والعمل مع القول فلا يكتفى ببعض ذلك بل لابد من العلم والعمل والشهادة، وأما الإحسان فهو أن تعبد اللَّه بما شرع، لا بالهواء والبدع. وهذا هو حقيقة شهادة أن محمداً رسول اللَّه. فإنها تقتضي وتتضمن وجوب متابعته، وتحريم معصيته، وأن السير إلى اللَّه من طريقه ومحجته. وهذا هو حقيقةُ اتباعِ الرسول، والشهادة له بالرسالة والدين كله يدخل في هذه الجملة الشريفة. انتهى.

الآية الثانية، قال تعالى: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [سورة آل عمران، آية: ٣١].

قال الحافظ ابن كثير: الآية الكريمة حاكمةٌ على كل من أدعى محبةَ اللَّه عزَّ وجلَّ ولم يتبعْ محمداً ﷺ في شرعه وطريقه وسُنته، فإنه كاذب في دعواه ولتكون دعواه صحيحةً يجب عليه اتباع الشرع المحمدي والسُنة النبوية في جميع أقواله وأفعاله. كما ثبت في الصحيح عن رسول اللَّه ﷺ قال: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد» ولهذا قال تعالى: ﴿ **إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ** ﴾ أي يحصل لكم ماطلبتم من محبتكم إياه وهو محبته إياكم وهو أعظم وأجل من الأول. كما قال بعض العلماء: ليس الشأن أن تحِبّ وإنما الشان أن تُحَبّ. وقال الحسن البصري وغيره من السلف: زعم قوم أنهم يحبون اللَّه فابتلاهم اللَّه بهذه الآية. فقال: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ** ﴾ [1] إنتهى.

= وكلامه هذا في الجزء ٣/ ٤٣٤ من مجموعة الرسائل والمسائل النجدية لبعض علماء نجد الاعلام.

(١) أخرجه بن جرير الطبري في جامع البيان عن الحسن البصري. وابن جريج. ٣/ ٢٣٢=



وقوله ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي بسبب اتباعكم الرسول ﷺ تحصل لكم هذه المغفرةُ والرحمةُ من بركة الاقتداء به ﷺ.

(والله تعالىٰ قد جعل محبته موجبةً لاتباع رسوله. قال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ وهذا لأن الرسول هو الذي يدعو إلىٰ مايحبه الله، وليس شيء يحبه اللّه إلا والرسول يدعو إليه، وليس شيء يدعو إليه الرسول إلا والله يحبه، فصار محبوب الرب ومدعو الرسول متلازمين، بل هذا هو هذا في ذاته، وإن تنوعت الصفات.

فكل من ادعىٰ أنه يحب اللّه ولم يتبع الرسول فقد كذب، وليست محبته لله وحده، بل إن كان يحبه فهي محبة شرك، فإنما يتبع مايهواه كدعوىٰ اليهود والنصارىٰ محبة الله، فإنهم لو أخلصوا له المحبة لم يحبوا إلا ما أحب، فكانوا يتبعون الرسول، فلما أحبوا ما أبغض اللّه مع دعواهم حبه كانت محبتهم من جنس محبة المشركين.

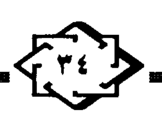
وهكذا أهل البدع فمن قال: إنه من المريدين لله المحبين له، وهو لا يقصد اتباع الرسول، والعمل بما أمر به، وترك مانهىٰ عنه، فمحبته فيها شوب [1] من محبة المشركين واليهود والنصارىٰ، بحسب مافيه من البدعة. فإن البدع التي ليست مشروعة وليست مما دعا إليه الرسول لا يحبها الله، فإن الرسول دعا إلىٰ كل مايحبه الله، فأمر بكل معروف ونهىٰ عن كل منكر)[2].

= واللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة ١/ ٧٠ عن الحسن.

وأخرجه الآجري في الشريعة صحيفة ١٢٩.

(١) الشَّوْبُ ـ الخَلْطُ. مختار الصحاح ش و ب.

(٢) قاله شيخ الإسلام رحمه الله الفتاوي ٨/ ٣٦٠، ٣٦١.



وقال المُحَدِثُ الشيخ محمد ناصر الدين الالباني تعليقاً على هذه الآية.

واعلم أيها الأخ المسلم: أنه لا يمكن لأحد أن يرقى إلى هذه المنزلة من الحب لله ورسوله إلا بتوحيد اللّه تعالى في عبادته دون سواه، وبإفراد النبي ﷺ بالاتباع دون غيره من عباد اللّه. لقوله تعالى: **﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾**، وقوله: **﴿قُلْ إن كُنتُمْ تحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾**. وقال عليه الصلاة والسلام: «لا والذي نفسي بيده. لو أن موسى كان حياً ماوسعه إلا أن يتبعني». قلت. فإذا كان مثل موسى كليم اللّه لا يسعه أن يتبع غير النبي ﷺ فهل يسع ذلك غيره؟ فهذا من الأدلة القاطعة على وجوب إفراد النبي ﷺ في الاتباع. وهو من لوازم شهادة «أن محمداً رسول الله» ولذلك جعل اللّه تباركَ وتعالى في الآية المتقدمة اتباعه ﷺ دون سواه دليلاً على حب اللّه إياه. ومما لا شك فيه أن مَن أحبه اللّه كان اللّه معه .... كما في الحديث القدسي الصحيح: «وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه. وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها. وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه ...» وإذا كانت هذه العناية الإلهية إنما هي بعبده المحبوب من الله، كان واجباً على كل مسلم أن يتخذ السبب الذي يجعله محبوباً عند اللّه. ألا وهو إتباع رسول اللّه ﷺ دون سواه، ألست ترى أنه لا سبيل إلى معرفة الفرائض وتمييزها عن النوافل إلا باتباعه ﷺ وحده؟ وأن مما لا شك فيه أن المسلم كلما كان بسيرة رسول اللّه ﷺ أعلم، وبمحاسنه وفضائله أعرف، كان حبه إياه أكثر، واتباعه إياه أوسع وأشمل .... ثم



قال : إذا عرفت ماسبق بيانه أن حب اللَّه لا يُنال إلا باتباع نبيه ﷺ فاحرصْ إذاً على اتباع سُنته كلَّ الحرص، وأنفق في سبيل ذلك كل جهاد ونفس، ولا تغتر بما عليه بعض الضالين المغرورين ً إلى أن قال ً والخلاصة : إنني أنصح كل من قرأ هذه الرسالة أن لا يقف عند العلم بما فيها وإنما يتبع ذلك بالثمرة المرجوة. ألا وهي إخلاص الاتباع لهذا الرسول العظيم المستلزم لحب اللَّه إياه، ومغفرته لذنوبه «وذلك هو الفوز العظيم» نسأل اللَّه تعالى أن يجعلنا منهم (١).

وقال العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه اللَّه (٢).

ويؤخذ من هذه الآية الكريمة أن علامة المحبة الصادقة لله ورسوله ﷺ هي اتباعه ﷺ. فالذي يخالفه ويَدّعي أنه يحبه فهو كاذب مفتر، إذ لو كان محباً له لأطاعه. ومن المعلوم عند العامة أن المحبة تستجلب الطاعة.

ومنه قول الشاعر :

لو كان حبك صادقاً لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

وقال ابن أبي ربيعة المخزومي :

ومن لو نهاني من حبه ... عن الماء عطشان لم أشرب

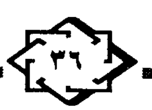
وقد أجاد من قال :

قالت : وقد سألت عن حال عاشقها ... بالله صفه ولا تنقص ولا تزد

---

(١) انظر مقدمة تحقيق رسالة «بداية السُول . . . . . » للعز عبدالعزيز بن عبدالسلام السلمي. بتحقيق العلامة محمد ناصر الدين الالباني حفظه اللَّه صفحة (٥، ٦، ٧، ٩، ١٢).

(٢) أضواء البيان. للعلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه اللَّه ١/ ٢٤٣.



فقلت : لو كان رهن الموت من ظمأ   وقلت : قف عن ورود الماء لم يرد

الآية الثالثة، قال تعالىٰ : ﴿ **تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾ [سورة النساء، آية : ١٣].

تعددت أقوال المفسرين في قوله تعالىٰ : ﴿ **تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ** ﴾ .

وقال أبوجعفر الطبري رحمه اللّٰه : بعد أن ساق ماقيل في معناها : وأولىٰ الأقوال في ذلك بالصواب مانحن مبينوه، وهو أن حد كل شيء مافصل بينه وبين غيره .

ولذلك قيل لحدود الدار وحدود الأرضين : حدود، لفصولها بين ماحُدّ بها وبين غيره . . . . وحدود اللّٰه يعني فصول مابين طاعة اللّٰه ومعصيته . وهي فصول فصل بها لكم بين طاعته ومعصيته، وحدود لكم تنتهون إليها فلا تتعدوها، وفصل منكم أهل طاعته من أهل معصيته فيما أمركم به، وفيما نهاكُم عنه . إنتهىٰ .

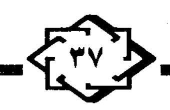
وقد بينها اللّٰه ورسوله ﷺ أوضح بيان . كما قال ﷺ : «الحلال بين والحرام بين» . . . الحديث .

وهي الحدود النهائية للناس لينتهوا إليها فلا يتعدوها، فمن تعداها وجاوزها خرج من حدود طاعة اللّٰه ورسوله إلىٰ معصية اللّٰه ورسوله ﷺ .

وبهذه الحدود والفصول عُرف أهل الطاعة من أهل المعصية . فالمقياس مدىٰ تأثر العبد بأوامر اللّٰه ونواهيه (١) .

---

(١) مستفاد من كلام أبي جعفر الطبري . مع شيء من التصرف .



ثم أن اللَّه قد بين ما ادخره لمن انتهى لنهيه وائتمر بأمره، فقال ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾.

الآية الرابعة، قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ [سورة النساء، اية: ٦٩].

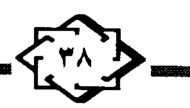
يعني بذلك جل ثناؤه: ومن يطع اللَّه والرسول بالتسليم لأمرهما. وإخلاصِ الرضا بحكمهما، والانتهاء إلى أمرهما، والانزجارِ عما نهيا عنه من معصية الله، فهو مع الذين أنعم اللَّه عليهم بهدايته، والتوفيق لطاعته في الدنيا من أنبيائه، وفي الأخرة إذا دخل الجنة.

و ﴿وَالصِّدِّيقِينَ ﴾ جمع صديق، وهو المصدق قوله بفعله. و ﴿وَالشُّهَدَاءِ ﴾وهم جمع شهيد وهو المقتول في سبيل اللَّه. و ﴿وَالصَّالِحِينَ ﴾ وهم جمع صالح، وهو كل من صلحت سريرته وعلانيته. وقوله ﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ فإنه يعني وحسن هؤلاء الذين نعتهم ووصفهم رفيقا في الجنة[1].

وقال ابن كثير: أي من عمل بما أمره اللَّه به ورسوله، وترك ما نهاه اللَّه عنه ورسوله، فإن اللَّه عزَّ وجلَّ يسكنه دار كرامته ويجعله مرافقاً للأنبياء ثم لمن بعدهم في الرتبة وهم الصديقون، ثم الشهداء ثم عموم المؤمنين وهم الصالحون الذين صلحت سرائرهم وعلانيتهم ثم أثنى عليهم تعالى فقال: ﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾.

---

(١) قاله ابو جعفر الطبري.



وعن أم المؤمنين عائشة رضي اللّه عنها قالت : جاء رجل إلى النبي ﷺ : فقال : يارسول اللّه إنك لأحب إليّ من نفسي ، وإنك لأحب إليّ من ولدي ، وإني لأكون في البيت ، فاذكرك فما أصبر حتى آتي فأنظر إليك وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين ، وأني إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك ، فلم يرد النبي ﷺ شيئاً حتى نزل عليه جبريل بهذه الآية : ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ (١) الآية .

الآية الخامسة، قال تعالى : ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة التوبة، آية : ٧١] .

والشاهد من الآية قوله تعالى : ﴿وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ .

أي يأتمرون لأمر اللّه ورسوله وينتهون عما نهيناهم عنه ﴿ أُوْلَئِكَ

---

(١) أخرجه الإمام الطبراني في معاجمه الثلاثة . الصغير حديث رقم ٥٢ .
والأوسط رقم ٤٠ ، والكبير رقم ١٢٥٥٩ ، ج ١٢ ص ٦٨ .
وهكذا رواه ابوبكر ابن مردوية . والحافظ ابو عبداللّه المقدسي في كتاب صفة الجنة من طريق الطبراني ثم قال لا أرى بإسناده باساً . كما ذكر ذلك ابن كثير .
قال الهيثمي في المجمع ٧/ ٧ رواه الطبراني في الصغير والأوسط ورجاله رجال الصحيح غير عبداللّه بن عمران العابدي وهو ثقة .
وقال جلال الدين السيوطي : أخرج الطبراني وابن مردوية بسند لا بأس به فذكره .
انظر الجلالين .
واخرج ابن جرير الطبري نحوه مرسل عن سعيد بن المسيب .
قال الحافظ ابو الفداء ابن كثير . وقدروي هذا الاثر مرسلاً عن مسروق وعن عكرمة وعامر الشعبي . وقتادة وعن الربيع بن أنس . وهو من أحسنها سنداً .

﴿سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾ يقول: هؤلاء الذين هذه صفتهم الذين سيرحمهم اللَّه. فينقذهم من عذابه، ويدخلهم جنّته، لا أهلُ النفاق والتكذيب بالله ورسوله، والناهون عن المعروف والآمرون بالمنكر، القابضون أيديهم عن أداء حق اللَّه من أموالهم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ يقول: إن اللَّه ذو عزة في انتقامه ممن انتقم من خلقه على معصيته وكفره به، لا يمنعه من الانتقام منه مانعٌ، ولا ينصره منه ناصرٌ، حكيم في انتقامه منهم في جميع أفعاله. إنتهى من كلام ابن جرير.

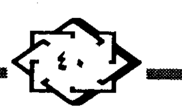
الآية السادسة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة النور، آية: ٥١].

قال ابن كثير: أي سمعاً وطاعة. ولهذا وصفهم تعالى بالفلاح وهو نيل المطلوب والسلامة من المهروب، فقال تعالى: ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ إنتهى.

ويُخبر الربُ عزَّ وجلَّ في هذه الآية عن الحال التي ينبغي للمؤمن أن يكون عليها وهي الاستجابةُ لأوامر اللَّه ورسوله، والسمعُ والطاعةُ والإنقياد والإذعانُ. ذلك أن هذا الصنف من الناس ـ وهم المؤمنون ـ مصدر تلقيهم كتاب اللَّه وسُنة رسوله ﷺ، وأن المؤمنين لا مجال للأهواء عندهم مع أوامر اللَّه ورسوله.

ومن كانت هذه صفاتهم فإن لهم في آخر الآية بشارةً برحمة اللَّه، وهي ماوعدهم اللَّه به فقال: ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

الآية السابعة، قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ



﴿هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [سورة النور، آية: ٥٢].

قال ابن جرير رحمه الله: ومن يطع الله ورسوله فيما أمره ونهاه ويسلمُ لحكمهما له وعليه، ويخفْ عاقبة معصية الله ويحذرْهُ، ويتقِ عذابَ الله بطاعته إياه في أمره ونهيه ﴿فَأُوْلَئِكَ﴾ فالذين يفعلون ذلك ﴿هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ برضا الله عنهم يوم القيامة، وأمنهم من عذابه. إنتهى.

وقال ابن كثير: وقوله ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ قال قتادة: يطع الله ورسوله فيما أمراه به وترك مانهياه عنه، ويخش الله فيما مضى من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل. وقوله ﴿فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ يعني الذين فازوا بكل خير وأمنوا من كل شرفي الدنيا والآخرة. انتهى.

الآية الثامنة، قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ [سورة الفتح، آية: ١٧].

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة في هذا المعنى. والله أعلم.

عاقبة العصاة المخالفين

القسم الثالث : الآيات التي اشتملت على الذم والوعيد من اللّه لمن عصى أمره وأمر رسوله ﷺ. وفيها بيان ما أعده اللّه لهم في عاقبتهم وأنها إلى سخط اللّه والنار والعياذ بالله من النار.

الآية الأولى، قوله تعالى : ﴿ **قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ**﴾ [سورة آل عمران، آية : ٣٢].

قال ابن كثير ﴿ **قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا**﴾ أي تُخالفوا عن أمره ﴿ **فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ**﴾ فدل على أن مخالفته في الطريق كفرٌ والله لا يحب من اتصف بذلك.

وإن ادعى وزعم في نفسه أنه محب لله ويتقرب إليه، حتى يتابع الرسول النبي الأمي خاتم الرسل ورسول اللّه إلى جميع الثقلين الجن والإنس، الذي لو كان الأنبياء بل المرسلون بل أولو العزم منهم في زمانه ماوسِعَهم إلا اتباعهُ والدخولُ في طاعته واتباعُ شريعته. إنتهى.

الآية الثانية، قال تعالى : ﴿**وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ**﴾ [سورة النساء، آية : ١٤].

قال أبو الفدا : أي لكونه غير ماحكم اللّه به وضاد اللّه في حكمه، وهذا إنما يصدر عن عدم الرضا بما قسم اللّه وحكم به. ولهذا يجازيه بالإهانة في العذاب الأليم المقيم. انتهى.

الآية الثالثة، قال تعالى : ﴿**يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ**

تُسَوَّىٰ بِهِمُ الأَرْضُ وَلا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ [سورة النساء، آية: ٤٢].

قال ابن كثير. اي إنشقت وبلعتهم مما يرون من أهوال الموقف ومايحل بهم من الخزي والفضيحة والتوبيخ كقوله. ﴿يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾ [سورة عم، آية: ٤٠].

وقوله: ﴿وَلا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ إخبار عنهم بأنهم يعترفون بجميع مافعلوه ولا يكتمون منه شيئاً. إنتهىٰ.

وعن سعيد بن جبير، قال: أتىٰ رجلٌ ابنَ عباس فقال: سمعت اللَّه يقول: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [سورة الانعام، آية: ٢٣] وقال في آية أخرىٰ ﴿وَلا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ فقال ابن عباس رضي اللَّه عنهما: أما قوله ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ فإنهم لما رأوا أنه لا يدخل الجنة إلا أهل الإسلام قالوا. تعالوا فلنجحد، فقالوا: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ فختم اللَّه علىٰ أفواههم، وتكلمت أيديهم، وأرجلهم فلا يكتمون اللَّه حديثاً» (١).

وفي رواية أخرىٰ له أنه قال: فختم علىٰ أفواههم وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون. فعند ذلك: ﴿يودَ الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثاً﴾.

الآية الرابعة، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ [سورة النساء آية ٦١].

وفي هذه الآية الكريمة صفة من صفات المنافقين الذميمة، وتلك الصفة أنهم إذا دعوا إلىٰ اللَّه ورسوله ﷺ، أي إلىٰ كتاب اللَّه وسُنة رسوله لحل النزاع والخصومات والخلافات اعرضوا وصدوا وأصدوا، وذلك الصدود

(١) أخرجه أبو جعفر الطبري في جامع البيان عند تفسير هذه الآية.

والإعراض مبعثه عدم الرضا والقبول بحكم اللَّه ورسوله ﷺ. وأهل هذه الصفة الذميمة بخلاف أهل الإيمان والتقوى والصلاح الذين قال اللَّه فيهم: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [سورة النور، آية: ٥١].

وأهل الصدود عن منهج اللَّه قد بين اللَّه تعالى مصيرهم ومآلهم فقال ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [سورة النساء، آية: ١٤٥]. وإذا علم هذا تبينت مناسبة الآية لهذا القسم.

الآية الخامسة، قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾ [سورة النساء، آية: ١١٥].

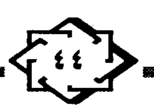
أي ومن سلك غير طريق الشريعة التي جاء بها الرسول ﷺ فصار في شق، والشرعُ في شقٍ وذلك عن عمد منه بعد ما ظهر له الحق وتبين له واتضح له، وقوله ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ هذا ملازم للصفة الأولى ولكن قد تكون المخالفة لنص الشارع، وقد تكون لما اجتمعت عليه الأمة المحمدية فيما علم اتفاقهم عليه تحقيقاً، فإنه قد ضمنت لهم العصمة في اجتماعهم من الخطأ تشريفاً لهم وتعظيماً لنبيهم، وقد وردت أحاديث صحيحة كثيرة في ذلك . . . .[1].

---

(١) ومن تلك الأحاديث قوله ﷺ «أن الله لا يجمع أمتي ـ أو قال أمة محمد ـ على ضلال ويد الله على الجماعة».

أخرجه الترمذي في السنن كتاب الفتن باب لزوم الجماعة. وأبو عبدالله الحاكم في المستدرك ١/ ١١٥ ـ ١١٦، وابن أبي عاصم في السنة حديث رقم ٨٠.

قال الألباني «صحيح» راجع صحيح الجامع ١/ ٣٧٨ حديث رقم ١٨٤٨.



والذي عوّل عليه الشافعي رحمه اللّه في الإحتجاج على كون الإجماع حجة تحرم مخالفته هذه الآية الكريمة. بعد التروّي والفكر الطويل وهو من أحسن الإستنباطات وأقواها.

وقوله: ﴿ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾ أي إذا سلك هذا الطريق جازيناه على ذلك بأن نُحسنها في صدره ونزينها له إستدراجاً له. كما قال تعالى: ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة القلم آية ٤٤] قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ [سورة الصف، آية: ٥] وقوله: ﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [سورة الأنعام، آية: ١١٠]، وجعل النار مصيره في الآخرة، لأن مَن خرج عن الهدىٰ لم يكن له طريقٌ إلا إلىٰ النار يوم القيامة [١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾. فإنهما متلازمتان. فكلٌّ من شاق الرسول من بعد ما تبين له الهدىٰ فقد اتبع غير سبيل المؤمنين، وكلٌّ من اتبع غير سبيل المؤمنين فقد شاق الرسول من بعد ماتبين له الهدىٰ، فإن كان يظن أنه متبع سبيل المؤمنين وهو مخطىء، فهو بمنزلة مَن ظن أنّه متبع للرسول وهو مخطىء.

وهذه الآية تدل على أن إجماعَ المؤمنين حجةٌ من جهة أن مخالفتهم مستلزمة لمخالفة الرسول، وأن كلَّ ما أجمعوا عليه فلا بد أن يكون فيه نصٌ عن الرسول، فكل مسألة يقطع فيها بالإجماع وبانتفاء المنازع من المؤمنين،

(١) قاله الحافظ ابن كثير رحمه الله.

فإنها مما بين اللّه فيه الهدىٰ . ومخالفُ مثل هذا الإجماع يكفر ، كما يكفر مخالف النص البين . وأما إذا كان يظن الإجماع ولا يقطع به . فهنا قد لا يقطع أيضاً بأنها مما تبين فيه الهدىٰ من جهة الرسول . ومخالف مثل هذا الإجماع قد لا يكفر ، بل قد يكون ظن الإجماع خطأ ، والصواب في خلاف هذا القول . وهذا هو فصل الخطاب فيما يكفر به مخالفة الإجماع وما لا يكفر (١) .

وقال في موضع آخر : والآية دلت علىٰ أن متبع غير سبيل المؤمنين مستحق للوعيد ، كما أن مشاقّ الرسولِ من بعد ما تبين له الهدىٰ مستحق للوعيد (٢) .

الآية السادسة، قال تعالىٰ : ﴿**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [سورة النور، آية : ٦٣] .

قال الحافظ ابن كثير رحمه اللّه : ﴿**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ**﴾ أي أمر رسول اللّه ﷺ . وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته . فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله فما وافق ذلك قبل ، وما خالفه فهو مردود علىٰ قائله وفاعله كائناً من كان . كما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن رسول اللّه ﷺ أنه قال : «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» . أي فليحذر وليخش من خالف شريعة الرسول باطناً وظاهراً ﴿**أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ**﴾ أي في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة ﴿**أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ أي في الدنيا بقتلٍ أو حدٍ أو حبسٍ أو نحو ذلك كما روىٰ الإمام أحمد (٣) عن أبي

---

(١) مجموع الفتاوىٰ ٧/ ٣٨ ـ ٣٩ .

(٢) مجموع الفتاوىٰ ٢٩/ ١٧٨ ـ ١٧٩ .

(٣) في المسند ٣/ ٣٩٢ وهو مخرج في الصحيحين وسوف يأتي تخريجه .



هريرة رضي اللّه عنه، قال : قال رسول اللّه ﷺ: «مثلي ومثلكم كمثل رجل استوقد ناراً فلما أضاءت ماحولها جعل الفراش وهذه الدواب اللاتي يقعن في النار يقعن فيها، وجعل يحجزهن ويغلبنه فيقتحمن - قال - فذلك مثلي ومثلكم أنا أخذ بحجزكم عن النار هلم عن النار فتغلبوني وتقتحمون فيها» اخرجاه. إنتهى.

الآية السابعة، قال تعالىٰ : ﴿**وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً**﴾ [سورة الفرقان، آية: ٢٧].

يخبر تعالىٰ عن ندم الظالم الذي فارق طريق الرسول ﷺوماجاء به من عند اللّه من الحق المبين الذي لا مرية فيه، وسلك طريقاً أخرىٰ غير سبيل الرسول، فإذا كان يوم القيامة ندم حيث لا ينفعه الندم، وعض علىٰ يديه حسرة وأسفاً. قاله ابن كثير رحمه الله.

ثم إن اللّه جل ذكره أخبرنا عن أهل النار - إذا هم دخلوها - كيف يتأسفون ويتحسرون علىٰ ترك طاعتهم لله عزَّ وجَّل ولرسوله إذ لم يطيعوا اللّه ورسوله، يوم كانوا في الحياة الدنيا ميسراً لهم طاعة اللّه ورسوله، فندموا حيث لم ينفعهم الندم وأسفوا حيث لم ينفعهم الأسف [(١)].

الآية الثامنة، قال تعالىٰ : ﴿ **يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولاْ** ﴾ [سورة الأحزاب، آية: ٦٦].

أي - لا يجد هؤلاء الكافرون ولياً ولا نصيراً في يوم تقلب وجوههم في النار حالاً بعد حال «يقولون» وتلك حالهم في النار ﴿ **يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ** ﴾ في

---

(١) من كلام الإمام الآجري في الشريعة ص ٤١١.



الدنيا وأطعنا رسوله فيما جاءنا به عنه من أمره ونهيه، فكنا مع أهل الجنة في الجنة.

يالها حسرة وندامة ما أعظمها وأجلها [1]. إنتهى.

وقال ابن كثير. اي يسحبون في النار على وجوههم وتلوى وجوههم على جهنم يقولون وهم كذلك، يتمنون لو كانوا في دار الدنيا ممن أطاع الله وأطاع الرسول ﷺ.

---

(١) قاله أبو جعفر الطبري في جامع البيان عند هذه الآية.

الأمر بطاعته ﷺ في السُنة

وكما أن الأمر باتباع النبي ﷺ جاء في كتاب اللَّه العزيز فإن السُنة قد جاء فيها على لسان رسول اللَّه ﷺ من ذلك الصحيح الصريح. وسوف أذكر بعض الأحاديث التي صدرت عن أصدق من وطأ الحصى صدرت عن أنصح رجل عرفته البشرية منذ أن أوجدها اللَّه إلى فنائها. صفوة اللَّه من خلقه الذي زكاه ربه ومدحه بقوله: ﴿**وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ**﴾ [سورة الحاقة، آية: ٤٤-٤٦] أي محمد ﷺ لو كان كما يزعمون مفترياً علينا فزاد في الرسالة أو نقص منها أو قال شيئاً من عنده فنسبه إلينا وليس كذلك، لعاجلناه بالعقوبة، بل هو صادقٌ بارٌ راشدٌ لأن اللَّه عزَّ وجَلّ مقرر له مايبلغه عنه، ومؤيد له بالمعجزات الباهرات والدلالات القاطعات. قاله الحافظ ابن كثير.

الحديث الأول: عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه، عن النبي ﷺ قال: «دعوني ماتركتكم - وفي رواية «ذروني ماتركتكم» - فإنما أهلك من كان قبلكم كثرةُ سؤالِهم واختلافهُم على أنبيائهم. فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم» متفق عليه [(١)].

قوله ﷺ: «ذروني ماتركتكم» دليل على أن الأصلَ عدمُ الوجوب وأنّه لا حكم قبل ورود الشرع. لقوله تعالى: ﴿**وماكنا معذبين حتى نبعث رسولاً**﴾ وقوله «فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه» فهو على إطلاقه فإن وُجد عذرٌ يبيحه

---

(١) أخرجه الإمام البخاري حديث رقم ٧٢٨٨ ومسلم ٩/ ١٠٠ النووي.

كأكل الميتة عند الضرورة . . . ونحو ذلك فهذا ليس منهياً عنه في هذه الحال .

وقوله : «فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم» هذا من قواعد الإسلام المهمة ومن جوامع الكلم التي أعطيها ﷺ، ويدخل فيه مالا يحصى من الأحكام كالصلاة بأنواعها، فاذا عجز عن بعض أركانها أو بعض شروطها أتى بالباقي .

وهذا الحديث موافق لقوله تعالى : ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ**﴾ [سورة التغابن، آية : ١٦] .

وأما قوله تعالى : ﴿**اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ**﴾ [سورة آل عمران، آية : ١٠٢] فحق تقاته هو امتثال أمره واجتناب نهيه ولم يأمر سبحانه وتعالى إلا بالمستطاع قال اللَّه تعالى : ﴿**لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا**﴾ [سورة البقرة، آية : ٢٣٣] وقال : ﴿ **وماجعل عليكم في الدين من حرج** ﴾ . قاله النووي في شرحه لصحيح مسلم ٩/ ١٠١ مع شيء من التصرف .

قال أبوجعفر الطحاوي رحمه اللَّه في مشكل الآثار ١/ ٢٣٠ . فتأملنا هذا الحديث لنقف على المعنى الذي فرق به رسول اللَّه ﷺ بين ماينهى عنه وأمر باجتنابه مطلقاً، وبين ما يأمر به، فجعل ذلك على مايستطيعه المأمورون . ولم يجعله أمراً مطلقاً كما جعل الذي ينهى عنه مطلقاً فوجدنا الأشياء التي ينهى عنها قد كان المنهيون عنها مستطيعين لفعلها فنهاهم أن يفعلوها في المستأنف .

ووجدنا الأشياء التي يؤمرون بفعلها قد يكون مايطيقونه وقد يكون ما يعجزون عنه، و ما يكلفون في ذلك إلا مايطيقونه منها . كما قال تعالى :

﴿لا تُكَلَّفُ نُفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ [سورة البقرة، آية: ٢٣٣] أي طاقتها، وكما قال تعالىٰ: ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا﴾ [سورة الطلاق، آية: ٧]. إنتهىٰ.

الحديث الثاني، عن أبي موسىٰ رضي اللَّه عنه قال. قال رسول اللَّه ﷺ: «إنما مثلي ومثل مابعثني اللَّه به كمثل رجل أتىٰ قوماً فقال: ياقوم إني رأيتُ الجيش بعيني وإني أنا النذير العُريان، فالنجاة، فأطاعه طائفة من قومه فادلجوا فانطلقوا علىٰ مهلهم فنجوا. وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم. فذلك مثل من أطاعني فاتبع ماجئتُ به، ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق» متفق عليه (١) واللفظ للبخاري.

قال العلماء: أصله أن الرجل إذا أراد إنذار قومه وإعلامهم بما يوجب المخافة نزع ثوبه وأشار به اليهم، إذا كان بعيداً منهم ليخبرهم بما دهمهم، وأكثر ما يفعل هذا ربيئة القوم وهو طليعتهم ورقيبهم. قالوا وإنما يفعل ذلك لأنه أبين للناظر وأغرب وأشنع منظراً فهو أبلغ في استحثاثهم في التأهب للعدو.

وقيل معناه أنا النذير الذي أدركني جيش العدو فأخذ ثيابي فأنا أنذركم عريانا. انتهىٰ (٢).

الحديث الثالث، عن عبدالله بن بريدة عن أبيه، قال خرج إلينا النبي ﷺ يوماً فنادىٰ ثلاث مرار فقال: «يا أيها الناس تدرون ما مثلي ومثلكم، قالوا اللَّه ورسوله أعلم. قال: إنما مثلي ومثلكم مثل قوم خافوا عدوا يأتيهم

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم ٧٢٨٣ ـ ١٣/ ٢٦٤ فتح. ومسلم ١٥/ ٤٨ النووي.
(٢) من كلام النووي ١٥/ ٤٨ ـ ٤٩ ماعدا مابين المعكوفتين.



فبعثوا رجلاً يترايا لهم فبينما هو كذلك أبصر العدو فأقبل لينذرهم وخشى أن يدركه العدو قبل أن ينذر قومه، فأهوى بثوبه إليهم أُتيتم أيها الناس أُتيتم أيها الناس». أخرجه الإمام أحمد في المسند ٥/ ٣٤٨، وقال الحافظ سنده جيد، ثم قال: وأحسن مافسر به الحديث من الحديث. الفتح ١١/ ٣٢٤.

وقوله ﷺ: «فالنجاء» أي انجوا النجاء أو اطلبوا النجاء. وقوله «فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم» أي ساروا من أول الليل [على مهلهم وهم الذين أطاعوه وصدقوه، وأما الذين عصوه وخالفوه فقال فيهم] «فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم» أي استأصلهم (١).

وإن طلب النجاء والإدلاج في هذا الحديث كنايةٌ عن اعلام المسلمين أن النجاة في الدنيا والآخرة إنما هي في طاعته ﷺ ومتابعته، ومن حاد عن طريقه وخالف منهجه وسار على غير سنته فليس له إلا الهلاك والخسران.

الحديث الرابع، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل مابينهم» قالوا يارسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم، قال: «بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين» متفق عليه (٢).

(ليتراءون) أي لينظرون إلى أهل الغرف من فوقهم، وهذا لتفاضل أعمالهم في دار الدنيا، فإن الجنة درجات، قال ﷺ: «إن في الجنة مائةَ درجة، مابين كل درجتين مائة عام» (٣).

---

(١) من كلام النووي ١٥/ ٤٨ ـ ٤٩ ماعدا مابين المعكوفتين.

(٢) أخرجه البخاري ٦/ ٣٩٥ فتح حديث رقم ٣٢٥٦. ومسلم ١٧/ ١٦٩ النووي.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢/ ٢٩٢. والترمذي في السنن حديث رقم ٢٦٦٢. =

والشاهد من الحديث قولهُ ﷺ: «بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين». فإن تصديق المرسلين يكون بطاعتهم في أوأمرهم واتباعهم في سننهم القولية والفعلية كما قال تعالى: ﴿مَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [سورة النساء، آية: ٦٤]. وعلى رأسهم وفي مقدمتهم خاتم المرسلين صلى الله عليه وعليهم وسلم تسليماً كثيراً.

فلقد أقسم ﷺبالذي نفسُه بيده وهو الله، أن تلك المنازل ليست محصورة على الأنبياء فقط، ولكن ذكر أنها لصنفين من أمته حدد صفاتهم وأعمالهم. «رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين».

الحديث الخامس، عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه أنه سمع رسول اللَّه ﷺ يقول: «إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد ناراً. فلما أضاءت ماحوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها. فجعل الرجل يزعهن ويغلبنه فيقتحمن فيها، فأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تقتحمون فيها» متفق عليه [١] واللفظ للبخاري.

وتحقيق التشبيه الواقع في هذا الحديث يتوقف على معرفة معنى قوله تعالى ﴿ **ومن يتعد حدود اللَّه فاولئك هم الظالمون** ﴾. وذلك أن حدود اللَّه محارمه ونواهيه، كما في الحديث الصحيح «ألا أن حمى اللَّه محارمه». ورأس المحارم حب الدنيا وزينتها واستيفاء لذاتها وشهواتها.

فشبه ﷺ إظهار تلك الحدود ببياناته الشافية الكافية من الكتاب والسنة

= وقال الشيخ ناصر الدين الألباني «صحيح» راجع صحيح سنن الترمذي رقم ٢٠٥٤.

(١) متفق عليه. أخرجه الإمام البخاري ١١/ ٣٢٣ فتح حديث رقم ٦٤٨٣. والإمام مسلم ١٥/ ٤٩ النووي.

باستنقاذ الرجال من النار، وشبه فشو ذلك في مشارق الأرض ومغاربها بإضاءة تلك النار ماحول المستوقد. وشبه الناس وعدم مبالاتهم بذلك البيان والكشف، وتعديهم حدود اللّه وحرصهم على استيفاء تلك اللذات والشهوات، ومنعه إياهم عن ذلك بأخذ حجزهم، بالفراش التي يقتحمن في النار ويغلبن المستوقد على دفعهن عن الاقتحام، كما أن المستوقد كان غرضه من فعله انتفاع الخلق به من الاستضاءة والاستدفاء، وغير ذلك.

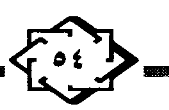
والفراش لجهلها جعلته سبباً لهلاكها، فكذلك كان القصد بتلك البينات إهتداء الأمة واجتنابها ماهو سبب هلاكهم، وهم مع ذلك لجهلهم جعلوها مقتضية لترديهم، وفي قوله «آخذ بحجزكم» استعارة مثل حالة منعه الأمة عن الهلاك بحالة رجل أخذ بحجزة صاحبه الذي يكاد يهوي في مهواة مهلكه (١). إنتهى.

وهذا مما يدل على شدة حرصه ﷺ على أمته ورأفته بهم وإرشاده إياهم لطريق النجاة والفلاح. كيف لا وهو الذي قال فيه ربه تبارك وتعالى: ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾ [سورة التوبة، آية: ١٢٨]. ودل أيضاً على أن الرسول ﷺ أدى الرسالة وبلغ البلاغ المبين ونصح الأمة. فجزاه اللّه عنا خير ماجزى به رسولاً عن أمته.

ومن كانت هذه مهمته في الحياة الدنيا ـ نصح وإرشاد، ودلالة على طريق رضا اللّه ـ فحري به أن يُتَّبَعَ ويُطاع من أصحاب القلوب السليمة والنفوس الكريمة المؤملين السعادة المقيمة عند من أرسله لنشر دينه ﴿ **فِي مَقْعَدِ**

---

(١) انظر الفتح ١١/ ٣٢٦.



صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [سورة القمر، آية: ٥٥].

الحديث السادس، عن أبي هريرة رضي اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ قال: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبىٰ» قالوا: يارسول اللّه ومن يأبىٰ؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبىٰ» (١).

الحديث السابع، عن علي بن خالد أن أبا أمامة الباهلي رضي اللّه عنه مر علىٰ خالد بن يزيد بن معاوية فسأله عن ألين كلمة سمعها من رسول اللّه ﷺ. فقال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «ألا كلكم يدخل الجنة إلا من شرد علىٰ اللّه شراد البعير علىٰ أهله» (٢).

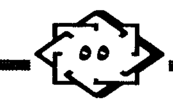
وجاء في حديث أبي سعيد الخدري أن رسول اللّه ﷺ قال: «أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة» فكبرنا. فقال: «ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثورٍ أبيضَ. أو الشعرة البيضاء في جلد ثورٍ أسودَ» متفق عليه.

لقد جمع الرب عزَّ وجَّل لهذه الأمة من الفضائل والكرامات في الدنيا والآخرة مالم يحصل لأمة قبلها. فهذا رسول اللّه ﷺ يخبر وهو الصادق المصدوق أن أمته يدخلون الجنةَ كلَّهم إلا من امتنع عن دخولها، وذلك

---

(١) أخرجه الإمام البخاري ١٣/ ٢٦٣ فتح حديث رقم ٧٢٨٠.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٥/ ٢٥٨ واللفظ له. والحاكم في المستدرك ٤/ ٢٤٧.
وقال الهيثمي في المجمع رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير علي بن خالد وهو ثقة ١٠/ ٧٠، ٧١. قال ابن حجر وسنده علىٰ شرط الشيخين الفتح ١٣/ ٢٦٨.
قال الألباني: لكن سعيد بن أبي هلال كان اختلط. لكن الحديث صحيح، فإن له غير شاهد.
الصحيحة ٥/ ٧٢ حديث رقم ٢٠٤٣.



بمعصيته للرسول ﷺ. وأن أمته نصف أهل الجنة مع كونهم بذلك القدر من القلة بين الأمم فما هي الشعرة بالنسبة لجلد الثور.

فمن أراد أن يكون من هذه الأمة فعليه أن يتبع سنة الرسول الكريم ويتمسك بها ومن خالف سنته وأعرض عن منهجه وترك التأسي به وتشبه بأعداء ملته في أفعالهم وأخلاقهم وعقائدهم، وهو مع ذلك يدعي أنه من أمته ﷺ، فإن دعواه باطلة، وعمله مردود عليه.

وقد تحقق فيه وأمثاله قوله ﷺ «من رغب عن سنتي فليس مني» (١) وقوله «من تشبه بقوم فهو منهم» (٢).

ومن أرادالسعادة في الدنيا والنجاة في الآخرة فليتأسَّ برسول الهدىٰ ﷺ. وليسعه ماوسع سلف الأمة الأخيار لعل اللّه أن يحشره بلطفه وإحسانه معهم. يوم يفترق الجمعان ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [سورة الشورىٰ، آية: ٧].

الحديث الثامن، عن جابر بن عبدالله رضي اللّه عنهما. قال: «جاءت ملائكة إلىٰ النبي ﷺ وهو نائم فقالوا: إن لصاحبكم هذا مثلاً فاضربوا له مثلاً، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان. فقالوا: مثله كمثل رجل بني داراً وجعل فيها مأدبة وبعث داعياً،

---

(١) يأتي تخريجه قريباً إن شاء الله.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢/ ٥٠ ـ ٩٢. وأبوداود في السنن حديث رقم ٤٣١ وعبد بن حميد في المنتخب من المسند حديث رقم ٨٤٨. قال شيخ الإسلام. وهو حديث جيد انظر الفتاوىٰ ٢٥/ ٣٣١. وقال الحافظ في الفتح وله شاهد مرسل بسند حسن أخرجه ابن أبي شيبة. وقال المحدث الألباني «صحيح» انظر الإرواء حديث رقم ١٢٦٩.



فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة. قالوا: أولوها له يفقهها؟ قال بعضهم: إنه نائم وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا: فالدار الجنة، والداعي محمد، فمن أطاع محمداً فقد أطاع الله، ومن عصى محمداً فقد عصى الله، ومحمد فرق بين الناس» رواه البخاري [١].

وفي سنن الإمام الدارمي. عن عطية أنه سمع ربيعة الجرشي يقول: أُتي النبي ﷺ فقيل له: لتنم عينك، ولتسمع أذنك، وليعقل قلبك، قال: فنامت عيناي وسمعت أُذناي، وعقل قلبي. قال: فقيل لي: سيد بَنَى داراً، فصنع مأدبة، وأرسل داعياً، فمن أجاب الداعيَ دخل الدار، وأكل من المأدبة، ورضي عنه السيد، ومن لم يجب الداعي، لم يدخل الدار، ولم يطعم من المأدبة، وسخط عليه السيد. قال: فالله السيد، ومحمد الداعي، والدار الإسلام، والمأدبة الجنة» [٢].

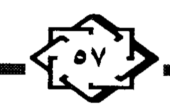
قال الحافظ. أي لأنه رسول صاحب المأدبة فمن أجابه ودخل في دعوته أكل من المأدبة. وهو كناية عن دخول الجنة.

الحديث التاسع، عن ابن عباس رضي اللّه عنهما أن رسول اللّه ﷺ أتاه فيما يرى النائمُ ملكان، فقعد أحدهما عند رجليه، والآخر عند رأسه. فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه: اضرب مثل هذا ومثل أمته. فقال: إن

---

(١) أخرجه الإمام البخاري ١٣/ ٢٦٣ فتح حديث رقم ٧٢٨١.

(٢) أخرجه الدارمي في السنن ١/ ١٨ حديث رقم ١١. وأخرجه الطبراني في الكبير ٥/ ٦٥، وقال الهيثمي في المجمع ٨/ ٢٦٠. رواه الطبراني باسناد حسن. وقال الحافظ سنده جيد الفتح ١٣/ ٢٧٠.



مثلهُ ومثل أمته كمثل قوم سفرٍ انتهوا إلىٰ مفازة. فلم يكن معهم من الزاد ما يقطعون به المفازة ولا ما يرجعون به، فبينما هم كذلك إذ أتاهم رجل في حُلةٍ حبرة. فقال: أرأيتم إن وردت بكم رياضاً معشبة وحياضاً رُواء، اتتبعوني؟ فقالوا: نعم. قال: فانطلق بهم فأوردهم رياضاً معشبة وحياضاً رواء، فأكلوا وشربوا وسمنوا. فقال لهم: ألم ألقكم علىٰ تلك الحال فجعلتم لي إن وردت بكم رياضاً معشبة وحياضاً رواء أن تتبعوني؟ فقالوا: بلىٰ، قال: فإن بين أيديكم رياضاً أعشب من هذه وحياضاً هيٰ أروىٰ من هذه، فاتبعوني، قال: فقالت طائفة: صدق والله، لنتبعنه. وقالت طائفة: قد رضينا بهذا نقيُم عليه (١).

الحديث العاشر، عن العرباض بن سارية رضي اللَّه عنه. قال: «وعظنا رسول اللَّه ﷺ موعظة بليغة وجلت منها القلوبُ، وذرفت منها العيونُ، فقلنا: يارسول اللَّه ﷺ. كأنها موعظةُ مودِّع فأوصنا. قال: «أوصيكم بتقوىٰ اللَّه والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد حبشي، وإنه من يعشْ منكم فسيرىٰ اختلافاً كثيراً. فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ. وإياكم ومحدثاتِ الأمور فإن كلَّ بدعة ضلالة» (٢).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١/ ٣٦٧. وعبد بن حُميد في مسنده حديث رقم ٦٦٧ صحيفة ٢٢٢ ـ ٢٢٣. وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٢/ ١٦٩ ـ ١٧٠.
قال الهيثمي رواه أحمد والطبراني والبزار. واسناده حسن المجمع ٨/ ٢٦٠. وقال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله اسناده صحيح المسند برقم ٢٤٠٢.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤/ ١٢٦ ـ ١٢٧. وابوداود برقم ٤٦٠٧. والترمذي برقم ٢٦٧٦ وقال «هذا حديث حسن صحيح» والحاكم في المستدرك ١/ ٩٥ ـ ٩٦ وغيرهم. وقال الحاكم هذا حديث صحيح ليس له علة. ووافقه الذهبي.
وقال شيخ الإسلام أبو العباس إبن تيمية. وفي الحديث الصحيح الذي رواه أهل =

وفي رواية «قلنا يارسول اللَّه إن هذه لموعظة مودع فماذا تعهد إلينا، قال : «قد تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك ومن يعش منكم . . . . . .» [١].

ـ (وجلت) : أي خافت وفزعت . (النواجذ) : الأنياب، وقيل الأضراس .

قال الحافظ : السُنة ماجاء عن النبي ﷺ من أقواله وأفعاله وتقريره وماهّم بفعله . والسنة في أصل اللغة الطريق [٢] . ونقل عن ابن بطال قوله . لا عصمة لأحد إلا في كتاب اللَّه أو في سنة رسول اللَّه ﷺ أو في إجماع العلماء على معنى في أحدهما [٣] .

وقوله ﷺ : «عَضّوا عليها بالنواجذ» الخطاب موجه للأمة من أوّلها إلى قيام الساعة . أي ليكن حرصكم على التأسي والاتباع بسنتي وسنة من بعدي من الخلفاء الراشدين كحرص من عض على شيء بين نواجذه . والخلفاء الراشدون هم أبوبكر وعمر وعثمان وعلي رضي اللَّه عنهم أجمعين .

= السنن عن العرباض بن سارية . فذكره . اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٥٧٩ . وقال الألباني صحيح . الإرواء برقم ٢٤٥٥ .

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤/ ١٢٦ وابن ماجة برقم ٤٣ . والحاكم في المستدرك ١/ ٩٦ . وقال الالباني اسناده صحيح . الصحيحة ٢/ ٦٤٨ حديث رقم ٩٣٧ .

(٢، ٣) الفتح ١٣/ ٢٥٩ .

وقال العلامة الالباني حفظه الله «السنة في اللغة الطريق وهذا يشمل كل ماكان عليه ﷺ من الهدى والنور فرضاً كان أو نفلاً . وأما اصطلاحاً فهو خاص بما ليس فرضاً من هدية ﷺ . . . .» تحذير الساجد ص ٣٨/ ٣٩ .

وفي هذا الحديث أمرٌ كريم من الرسول الرؤوف الرحيم لأمته بالانقياد لأمره والاتباع لسنته في جميع الأحوال من الأقوال والأفعال.

الحديث الحادي عشر، عن عبدالرحمن بن عبد رب الكعبة، قال دخلت المسجد. فإذا عبدالله بن عمرو بن العاص جالس في ظل الكعبة، والناس مجتمعون عليه، فأتيتهم فجلست إليه، فقال: «كنا مع رسول اللَّه ﷺ في سفر، فنزلنا منزلاً فمنّا مَنْ يصلح خباءه، ومنّا مَن ينتضل (١)، ومنّا مَنْ هو في جشرة (٢)، إذ نادىٰ منادي رسول اللَّه ﷺ الصلاة جامعة: فاجتمعنا إلىٰ رسول اللَّه ﷺ. فقال: «إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته علىٰ خير مايعلمه لهم: وينذرهم شر ما يعلمه لهم، وأن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها . . . .» (٣).

لقد اصطفىٰ اللَّه عزَّ وجَلّ محمداً ﷺ. فجعله مبلغاً لشريعته، واختصه بإنزال وحيه وبتكليمه من وراء حجاب (٤). وأخبره بما يرضيه من الأقوال والأفعال ومايسخطه منها، وأمره أن يبلغ عباده ذلك ليعملوا بأسباب رضاه ورحمته ويجتنبوا أسباب سخطه وعقوبته [ولا سبيل لأحد إلىٰ معرفة ذلك إلا من جهة الرسول ﷺ ومعرفة ماجاء به من الهدىٰ ودين الحق إجمالاً وتفصيلاً، فإنه الواسطةُ بين العباد وبين ربهم في إبلاغ مايحبه

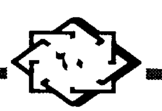
---

(١) هو من المناضلة وهي المراماة بالنشاب.

(٢) بفتح الجيم والشين وهي الدواب التي ترعىٰ وتبيت مكانها. النووي.

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الإمارة ١٢/ ٢٣٢ ـ ٢٣٣ النووي والنسائي وابن ماجة.

(٤) وذلك ليلة الاسراء والمعراج.



الرب ويرضاه ويريده من عباده. ويوجب السعادة والنعيم والفلاح في الدنيا والآخرة، فكل طريق غير طريقه مسدود على سالكيه، وكل عمل ليس عليه رسمه وتقريره فهو رد على عامليه] (١). وجعل اللّه عزَّ وجَلّ إبلاغَ الرسالة حقاً على رسوله ﷺ ووظيفته في هذه الحياة الدنيا قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [سورة المائدة، آية: ٦٧] (مخاطباً عبده ورسوله محمداً ﷺ، باسم الرسالة وأمراً له بإبلاغ جميع ما أرسله اللّه به. وقد امتثل عليه أفضل الصلاة والسلام ذلك وقام به أتم القيام) (٢). «ولو كان محمد ﷺ كاتماً شيئاً مما أُنزل عليه لكتم هذه الآية ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾ [سورة الأحزاب، آية: ٣٧] (٣).

وعن أبي ذر رضي اللّه عنه قال: تركنا رسول اللّه ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في الهواء إلا هو يذكرنا منه علماً (٤). قال: وقال ﷺ: «مابقي

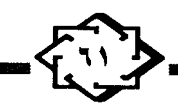
---

(١) قاله العلامة الإمام الشيخ الامجد عبدالرحمن بن حسن في رسالة بعث بها إلى الإمام الأكرم فيصل بن تركي رحم الله الجميع.
مجموع الرسائل والمسائل النجدية ٢/ ٢/ ٣.

(٢) قاله الإمام الحافظ أبو الفداء ابن كثير في تفسيره عن هذه الاية.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في الصحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه كتاب التوحيد باب (وكان عرشه على الماء) برقم ٧٤٢٠.
وأخرجه الإمام مسلم وصحيحه ٣/ ١٠ كتاب الايمان. النووي.
وأخرجه الإمام ابن جرير الطبري في جامع البيان.
وأخرجه الإمام الترمذي في سننه في تفسير سورة الاحزاب برقم ٣٤٣٨.
كلهم عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٥/ ١٥٣ ـ ١٦٢. والطيالسي في مسنده برقم ٤٧٩. والطبراني في الكبير ٢/ ١٥٥ـ١٥٦. =



شيء يقرب من الجنة ويُباعدُ من النار إلا وقد بين لكم» (١) .

وعن المطلب بن حنطب أن رسول اللَّه ﷺقال : «ماتركتُ شيئاً مما أمركم اللَّه به إلا وقد أمرْتُكم به، ولا تركت شيئاً مما نهاكم اللَّه عنه إلا وقد نهيتكُمْ عنه» (٢) .

[فكل الرسل عليهم الصلاة والسلام بعثوا بهذا الأمر ليدلوا الناس على خير ما يعلمون لهم، وينذروهم شر ما يعملون لهم. ونبينا ﷺ هو أكمل الأنبياء رسالة، وأكملهم بلاغًا، واعظمهم نصحًا، فقد بلغ وأرشد وحذر، ودل على كل خير، وحذر من كل شر عليه الصلاة والسلام](٣) .

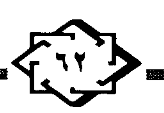
فواجب على الأمة أن تسيرَ على نهجه، وتقتفيَ أثره، وتلتزمَ أمره، وتجتنبَ نهيه، فإنه الهادي إلى رضا اللَّه المبشر برحمته، الناهي عن معصيته المحذر من غضبه .

= وابن حبان في صحيحه ١/ ٢٦٧ برقم ٦٥ . قال الهيثمي في المجمع ٨/ ٢٦٤ رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٢/ ١٥٥ ـ١٥٦ . وقال الهيثمي ورجال الطبراني رجال الصحيح غير محمد بن عبد ربه بن يزيد وهو ثقة .
قال الالباني . وهذا اسناد صحيح رجاله كلهم ثقات .

(٢) أخرجه الإمام الشافعي في الرسالة حديث رقم ٢٨٩ والبيهقي في السنن الكبرى ٧/ ٧٦ . ونقل الشيخ أحمد شاكر رحمه الله عن أبي السعادات إبن الاثير قوله (وهذا حديث مشهور دائر بين العلماء) ثم قال وقد تعبت في بحثه الأيام الطوال ووصلت إلى نتيجة لا أستطيع القطع بها . وإن كنت أراها أقرب إلى الصواب . وأُرجح بها أن هذا الاسناد صحيح . الرسالة ص ٩٧ . وقال الألباني وهذا اسناد مرسل حسن . الصحيحة ٤/ ٤١٧ .

(٣) قاله العلامة ابن باز رحمه الله في مجموع الفتاوى ٥/ ٨ .



الحديث الثاني عشر، عن المقدام بن معديكرب رضي اللّه عنه قال : حرم رسول اللّه ﷺ يوم خيبر أشياء ثم قال : «يوشك أحدكم أن يكذبَني وهو متكيء على أريكته يحدث بحديثي فيقولُ بيننا وبينكم كتاب الله . فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه . ألا وأنّ ماحرم رسولُ اللّه ﷺ مثل ماحرّم الله» [1] .

ذلك لأن رسول اللّه ﷺ إنما حرم ماحرم بأمر ربه تبارك وتعالىٰ . ولم يكن ذلك من تلقاء نفسه . قال اللّه تعالىٰ علىٰ لسان رسوله ﷺ ﴿**قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**﴾ [سورة يونس، الآية : ١٥] .

وقوله ﷺ في رواية أخرىٰ : «ومن أطاعني فقد أطاع الله» هذه الجملة منتزعة من قوله تعالىٰ : ﴿**من يطع الرسول فقد أطاع الله**﴾ أي لأني لا آمر إلا بما أمر الله به . فمن فعل ما آمره به فإنما أطاعَ من أمرني أن أمره . ويحتمل أن يكون المعنىٰ . لأن الله أمرَ بطاعتي فمن أطاعني فقد أطاع امْرَ الله له بطاعتي . وفي المعصية كذلك والطاعة هي الإتيان بالمأمور به ، والانتهاء عن المنهي عنه . والعصيان بخلافه [2] .

الحديث الثالث عشر، عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال . قال رسول اللّه ﷺ : «إني قد تركتُ فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما ، كتاب اللّه وسنتي ، ولن

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤/ ١٣٢ . واللفظ له . والترمذي برقم ٢٦٦٤ ، وابن ماجه والدارمي ١/ ١٥٣ رقم ٥٨٦ . والحاكم في المستدرك ١/ ١٠٩ . وقال إسناده صحيح . وكذا قال الألباني .

(٢) الفتح ١٣/ ١٢٠ .

يتفرقا حتى يردا علي الحوض» [١].

وكل ماتقدم من الأحاديث وماجاء في معناها مما لم نذكر، جاءت في الأمر باتباع السنة والدلالة على أن العبد لا يمكن له أن يعبد الله إلا بما كان موافقاً لعبادة رسول الله ﷺ القولية والفعلية وأن ماكان غير ذلك فإنه مردود على صاحبه غير متقبل منه.

وأعلم يا من ترجو الله واليوم الآخر، والنجاة يوم العرض عليه عزَّ وجَّل وترجو رحمته وعفوه، أن الدليل على صدق رجائك يكون باتباعك لـ محمد ﷺ ومن كان يرجو الله وهو مع ذلك مخالفٌ لسنته ﷺ، فإن الصدقَ فارق رجاءه بقدر ما خالف هو سنة رسول الله ﷺ قال تعالى: **﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾** [سورة الأحزاب، آية: ٢١].

---

(١) أخرجه الإمام مالك في الموطأ. كتاب القدر باب النهي عن القول بالقدر برقم ٦٨٦. والحاكم في المستدرك ١/ ٩٣. وابن عبد البر في جامع العلم ٢/ ١١٠. واللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة ١/ ٨٠. وقال الألباني صحيح. انظر صحيح الجامع حديث رقم ٢٩٣٧.

ماجاءت به السُنة من التحذير من مخالفة رسول اللّه ﷺ

وقد ورد عنه ﷺ من الأحاديث الصحاح ماحذر فيها عن مخالفة أمره والعمل بغير سنته ومن ذلك.

الحديث الأول عن أم المؤمنين عائشة رضي اللّه عنها، قالت: قال رسول اللّه ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو رد» متفق عليه[1].

وفي رواية للإمام مسلم: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» وهذا الحديث معدود من أصول الإسلام وقاعدةً من قواعده، فإن معناه من اخترع في الدين مالا يشهد له أصل من أصوله فلا يلتفت إليه. قاله الحافظ ابن حجر.

وقال النووي: وهذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام وهو من جوامع كلمه ﷺ. فإنه صريح في رد كل البدع والمخترعات. وفي الرواية الثانية «زيادةٌ، وهي أنه قد يعاند بعض الفاعلين في بدعة سُبق إليها فإذا احتج عليه بالرواية الأولى يقول أنا ما احدثْتُ شيئاً، فيُحتج عليه بالثانية التي فيها التصريح برد كل المحدثات سواءٌ أحدثها الفاعلُ أو سُبق بإحداثها.

و هذا الحديث يصلح أن يسمى نصف أدلة الشرع. لأن الدليل يتركب

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في الصحيح ٥/ ٣٥٥ فتح حديث رقم ٢٦٩٧، والإمام مسلم في الصحيح ١٢/ ١٦ النووي.

من مقدمتين، والمطلوبُ بالدليل إما إثبات الحكم أو نفيه. وهذا الحديث مقدمة كبرىٰ في إثبات كل حكم شرعي ونفيه. فتح الباري ٥/ ٣٥٧.

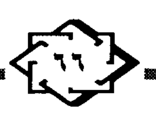
وقال الحافظ في قوله «رد» معناه مردود. وكأنه قال. فهو باطل غير معتد به. وقوله «ليس عليه أمرنا» المراد به أمر الدين.

الحديث الثاني، عن ابن عباس رضي اللّٰه عنهما. قال: قام فينا النبي ﷺ خطيباً بموعظة فقال: «يا أيها الناس إنكم تحشرون إلىٰ اللّٰه حفاة عراة غرلاً ﴿**كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ**﴾ [سورة الأنبياء، آية: ١٠٤]. ألا وإن أول الخلائق يكسىٰ يوم القيامة إبراهيم عليه السلام. ألا وإنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول يارب أصحابي، فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح ﴿**وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١١٧) إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [سورة المائدة، آية: ١١٧، ١١٨]. قال فيقال لي إنهم لم يزالوا مرتدين علىٰ أعقابهم منذ فارقتهم» متفق عليه [١] واللفظ لمسلم قوله «فيؤخذ بهم ذات الشمال» أي إلىٰ جهة النار. قاله ابن حجر.

الحديث الثالث، عن أبي هريرة رضي اللّٰه عنه، عن النبي ﷺ قال: «بينما أنا نائم فإذا زمرة، حتىٰ إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال هلم، فقلت أين؟ قال: إلىٰ النار والله، قلت وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك علىٰ أدبارهم القهقرىٰ. ثم إذا زمرة، حتىٰ إذا عرفتهم خرج

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في الصحيح ١١/ ٣٨٥ فتح حديث رقم ٦٥٢٦. والإمام مسلم في الصحيح ١٧/ ١٩٤ النووي.



رجل من بيني وبينهم فقال : هلم ، قلت أين ؟ قال : إلىٰ النار والله . قلت : ماشأنهم ؟ قال إنهم ارتدوا بعدك علىٰ أدبارهم القهقرىٰ . فلا أراه يخلص منهم إلا مثل هَمل النعم» (١) .

قوله «بينما أنا نائم» كذا بالنون للأكثر وللكشميهني «قائم» وهو أوجه . والمراد به قيامه علىٰ الحوض يوم القيامة . وتوجه الأولىٰ بأنه رأىٰ في المنام في الدنيا ماسيقع له في الآخرة .

وقوله «فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم» يعني من هؤلاء الذين دنوا من الحوض وكادوا يردونه فصدوا عنه .

والهمل بفتحتين ، الإبل بلا راع . وقال الخطابي : الهملُ مالا يرعىٰ ولا يستعمل ويطلق علىٰ الضوال . والمعنىٰ أنه لا يرده منهم إلا القليل لأن الهملَ في الأبل قليل بالنسبة لغيره . الفتح ١١/ ٤٨٣ .

وقال الإمام الحافظ أبو عمرو ابن عبدالبر . كل من أحدث في الدين فهومن المطرودين عن الحوض . كالخوارج والروافض وسائر أصحاب الأهواء . شرح النووي لصحيح مسلم ٣/ ١٣٧ .

وعن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه قال . قال رسول اللَّه ﷺ : «فمن رغب عن سنتي فليس مني» (٢) .

والمراد بالسُنة الطريقة لا التي تقابل الفرض .

والرغبة عن الشيء الإعراض عنه إلي غيره .

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في الصحيح حديث رقم ٦٥٨٧ ١١/ ٤٧٣ فتح .

(٢) طرف من حديث اتفق عليه الشيخان . فأخرجه الإمام البخاري في الصحيح ٥/ ٥٩ الفتح رقم ٥٠٦٣ . ومسلم ٩/ ١٧٩ النووي .

والمراد من ترك طريقتي وأخذ بطريقة غيري فليس مني .

وقوله «فليس مني» إن كانت الرغبة بضرب من التأويل يعذر صاحبه فيه . فمعنىٰ «فليس مني» أي علىٰ طريقتي ولا يلزم أن يخرج عن الملة وإن كان إعراضاً وتنطعاً يفضي إلىٰ اعتقاد أرجحية عمل فمعنىٰ «فليس مني» ليس علىٰ ملتي لأن اعتقاد ذلك نوع من الكفر . انتهىٰ من فتح الباري ٩/ ٨ .

الحديث الرابع، عن عوف بن مالك الأشجعي رضي اللّٰه عنه قال . قال رسول اللّٰه ﷺ «افترقت اليهود علىٰ إحدىٰ وسبعين فرقةً . فواحدة في الجنة ، وسبعون في النار . وافترقت النصارىٰ علىٰ ثنتين وسبعين فرقةً . فإحدىٰ وسبعون في النار ، وواحدة في الجنة . والذي نفس محمد بيده لتفترق أمتي علىٰ ثلاثة وسبعين فرقة ، واحدة في الجنة وثنتان وسبعون في النار» قيل : يارسول اللّٰه من هم ؟ قال : «الجماعة» [(١)] .

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي اللّٰه عنهما قال : قال رسول اللّٰه ﷺ : «ليأتين علىٰ أمتي ما أتىٰ علىٰ بني إسرائيل حذو النعل بالنعل حتىٰ إن كان منهم من أتىٰ أمّه علانيةً لكان في أمتي من يصنع ذلك ، وإن بني إسرائيل تفرقت علىٰ اثنتين وسبعين ملةً ، وستفترق أمتي علىٰ ثلاث وسبعين ملةً . كلها في النار إلا ملة واحدة» قالوا : من هي ؟ قال : «ما أنا عليه

---

(١) أخرجه ابن ماجة برقم ٣٩٩٢ . وابن أبي عاصم في السنة برقم ٦٣ . واللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة ١ ./ ١٠١ برقم ١٤٩ .
قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله . الحديث صحيح مشهور في السنن والمسانيد . ٣/ ٣٤٥ من الفتاوىٰ .
وقال الألباني «صحيح» صحيح الجامع برقم ١٠٨٢ .

وأصحابي»[1].

وعن المستورد بن شداد أن رسول اللَّه ﷺ قال: «لا تترك هذه الأمة شيئاً من سنن الأولين حتىٰ تأتيه»[2].

ووقع في حديث عبدالله بن عمرو. عندالشافعي بسند صحيح: «لتركبن سنة من كان قبلكم حلوها ومرها» فتح الباري ١٣/ ٣١٤.

وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال: «لا تقوم الساعةُ حتىٰ تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها شبراً بشبر وذراعاً بذراع، فقيل يارسول اللَّه كفارس والروم؟ فقال: «ومن الناس إلا أولئك؟»[3].

وعن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال: «لتتبعن سنَنَ مَن كان قبلكم شبراً شبراً وذراعاً ذراعاً، حتىٰ لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم» قلنا. يارسول الله. اليهود والنصارىٰ؟ قال: «فمن؟»[4].

قال عياض: الشبر والذراع والطريق ودخول الجحر تمثيل للاقتداء بهم في كل شيء مما نهىٰ الشرعُ عنه وذَمه.

وأعلم ﷺ أن أمته ستتبع المحدثات من الأمور والبدع والأهواء كما وقع للأمم قبلها. وقد أنذر في أحاديثَ كثيرة بأن الآخر شر والساعة لا تقوم إلا علىٰ شرار الناس، وأن الدين إنما يبقىٰ قائماً عند خاصة من الناس.

---

(١) أخرجه الترمذي برقم ٢٦٤١ والحاكم في المستدرك ١/ ٢٨-٢٩.
وقال الشيخ الألباني «حسن» صحيح الجامع برقم ٥٣٤٣.

(٢) قال صاحب المجمع ٧/ ٢٦١ رواه الطبراني في الأوسط. ورجاله ثقات.

(٣، ٤) أخرجهما الإمام البخاري في الصحيح برقم ٧٣١٩-٧٣٢٠-١٣/ ٣١٢ فتح.

وقد وقع معظم ما أنذر به ﷺ وسيقع بقية ذلك [(١)].

الحديث الخامس، عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي اللّه عنهما، قال: قال رسول اللّه ﷺ: «لكل عمل شره، ولكل شره فترة. فمن كانت فترته إلىٰ سنتي فقد أفلح. ومن كانت فترته إلىٰ غير ذلك فقد هلك» [(٢)].

والشره. هي غلبة الحرص.

وقال الطحاوي رحمه الله،. بعد أن نقل عن طاووس أنها الإجتهاد وحدة الإسلام.

قال «فوقفنا بذلك علىٰ أنها هي الحدة في الأمور التي يريدها المسلمون من أنفسهم في أعمالهم التي يتقربون بها إلىٰ ربهم عزَّ وجَّل وأن رسول اللّه ﷺأحب منهم فيها مادون الحدة التي لابد لهم من القصر عنها والخروج منها إلىٰ غيرها وأمرهم بالتمسك من الأعمال الصالحة بما قد يجوز دوامهم عليه ولزومهم إياه حتىٰ يلقوا ربهم عزَّ وجَّل عليه [(٣)].

واستشهد لقوله رحمه اللّه بحديث أم المؤمنين عائشة رضي اللّه عنها قالت: قال رسول اللّه ﷺ: «أحبُ الأعمال إلىٰ اللّه تعالىٰ أدومُها وإن قل» [(٤)].

---

(١) فتح الباري ١٣/ ٣١٣-٣١٤.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢/ ٢١٠ بهذا اللفظ. والإمام الطحاوي في مشكل الآثار ٢/ ٨٨. وابن حبان في صحيحه ١/ ١٨٧-١٨٨ برقم ١١. وابن أبي عاصم في كتاب السنة برقم ٥١. وقال الألباني إسناده صحيح علىٰ شرط الشيخين.

(٣) مشكل الاثار ٢/ ٨٩-٩٠.

(٤) أخرجه الإمام مسلم في الصحيح ٦/ ٧٢ النووي.



الحديث السادس، عن أنس رضي اللَّه عنه، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إن اللَّه حجب التوبة عن صاحب كل بدعة» (١).

وعن عطاء الخرساني رحمه الله. قال: مايكاد اللَّه أن يأذن لصاحب بدعة بتوبة(٢).

وعن الحسن بن أبي الحسن رحمه الله. قال. أبىٰ اللَّه تبارك وتعالىٰ أن يأذن لصاحب هوىٰ بتوبة (٣).

قال سلام بن أبي مطيع: قال رجل لأيوب: يا أبابكر أن عمرو بن عبيد قد رجع عن رأيه !.

قال: إنه لم يرجع.

قال: بلىٰ يا أبابكر أنه قد رجع.

قال أيوب: إنه لم يرجع ثلاث مرات أما أنه لم يرجع. أما سمعت إلىٰ قوله: (يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يعودون فيه حتىٰ يرجع السهم إلىٰ فُوْقه) (٤). فوق السهم هو موضع الوتر منه.

وانظر ص١٥٩ لتعلم معنىٰ كون صاحب البدعة لا يتوب منها .

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط برقم ٤٣٦٠. وابن أبي عاصم في كتاب السنة برقم ٣٧. وقال الهيثمي في المجمع ١٠/ ١٨٩ رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير هارون ابن موسىٰ الفروي وهو ثقة. وقال المنذري في الترغيب رواه الطبراني واسناده صحيح. وقال الشيخ الالباني وهذا إسناد صحيح. الصحيحة ٤/ ١٥٤.

(٢، ٣) أخرجها اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة ١/ ١٤١.

(٤) اللالكائي، شرح السنة ١/ ١٤١ فقرة ٢٨٦.



مواقف الصحابة رضي الله عنهم من أوامر الشارع ونواهيه

قال تعالى : ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة الأعراف، آية : ١٧٦].

وقال تعالى : ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب﴾ [سورة يوسف، آية : ١١١].

وكثيراً ماكان رسول اللَّه ﷺ يحدث أصحابه رضي اللَّه عنهم بأخبار من سلف من الأمم قبلهم (١).

أما أولئك النفر الأخيار رضي اللَّه عنهم فقد نالوا شرفاً أيَّ شرف، ذلك مدحُ اللَّه عزَّ وجلَّ لهم في غير ما اية من كتابه العزيز.

فقال تعالى : ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [سورة التوبة، آية : ١٠٠].

قال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه : فقد أخبر اللَّه العظيم أنه قد رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصارِ والذين اتبعوهم بإحسان. فياويلَ من أبغضهم أو سبهم أو أبغض أو سب بعضَهم. ولا سيما سيد الصحابة

(١) من ذلك قوله ﷺ «كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين إنساناً» متفق عليه. وقوله «كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر» رواه مسلم. وغير ذلك.

بعد الرسول وخيرهم وأفضلهم أعني الصديق الأكبر والخليفة الأعظم أبابكر بن أبي قحافة رضي اللَّه عنه فإن الطائفة المخذولة من الرافضة يعادون أفضل الصحابة ويبغضونهم ويسبونهم، عياذاً باللَّه من ذلك. وهذا يدل على أن عقولهم معكوسة، وقلوبهم منكوسة، فأين هؤلاء من الإيمان بالقرآن إذ يسبون من رضي اللَّه عنهم؟ وأما أهل السنة فإنهم يترضون عمن رضي اللَّه عنه، ويسبون من سبه اللَّه ورسوله، ويوالون من يوالي اللَّه، ويعادون من يعادي اللَّه، وهم متبعون لا مبتدعون، ويقتدون ولا يبتدون. ولهذا هم حزب اللَّه المفلحون وعباده المؤمنون. انتهى.

وفي هذه الآية الشريفة دلالة أوضح من شمس النهار، على فضل الصحابة الكبار، وعلى أنهم كلهم مغفورون، أصحاب الجنات والأنهار. فمن نال منهم، أو طعن فيهم، أو سبهم فلا شك ولا ريب أنه من أصحاب النار، لأنه عارض الله في كتابه، وأخباره بمزيد فضلهم، برأيه الفاسد، ولم يقبل دليل القرآن.

ومن أنكر حرفًا من القرآن فقد خرج عن الإسلام، ودخل في الكفر بلا ارتياب. فسحقًا للرافضة اللاعنين لهم، والسابين إياهم[1].

وقال الشيخ حمد بن ناصر بن معمر رحمه اللَّه في مجمل إستعراضه لعقيدة أهل السنة «وذكر محاسن أصحاب رسول اللَّه ﷺ كلهم والكف عن مساويهم التي شجرت بينهم، فمن سب أصحاب النبي ﷺ أو واحداً منهم أو تنقصه، أو طعن عليه أو عرض بعيبهم أو عاب أحداً منهم فهو رافضي

---

(١) كتاب الدين الخالص للشيخ محمد صديق حسن خان رحمه الله ٣/ ٣٨١ـ٣٨٢.

خبيث لا يقبل اللَّه منه صرفاً ولا عدلاً، بل حبهم سنة، والدعاء لهم قربة، والإقتداء بهم وسيلة، والأخذ بآثارهم فضيلة [١]. إنتهى.

وقال تعالى: ﴿ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ [سورة الفتح، آية: ٢٦].

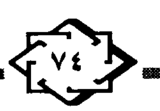
وقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [سورة الفتح، آية: ٢٩].

قال الحافظ ابن كثير عن هذه الآية: ٤/ ٢١٩، فالصحابة رضي الله عنهم خلصت نياتهم وحسنت أعمالهم فكل من نظر إليهم أعجبوه في سمتهم وهديهم. وقال مالك رضي الله عنه بلغني أن النصارىٰ كانوا إذا رأوا الصحابة رضي الله عنهم الذين فتحوا الشام يقولون والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا، وصدقوا في ذلك فإن هذه الأمة معظمة في الكتب المتقدمة وأعظمها وأفضلها أصحاب رسول الله ﷺ وقد نوه الله تبارك وتعالىٰ بذكرهم في الكتب المنزلة والأخبار المتداولة ولهذا قال سبحانه وتعالىٰ ههنا: ﴿ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾[٢] .... ﴿فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾ أي فكذلك أصحاب

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ١/ ٥٦٢.

(٢) «شطأه» أي فراخه.



رسول الله ﷺ آزروه وأيدوه ونصروه فهم معه كالشطء مع الزرع ﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ﴾ ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك رحمة الله عليه في رواية عنه بتكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة رضي الله عنهم قال لأنهم يغيظونهم ومن غاظ [1] الصحابة رضي الله عنهم فهو كافر لهذه الآية، ووافقه طائفة من العلماء رضي الله عنهم على ذلك والأحاديث في فضل الصحابة رضي الله عنهم والنهي عن التعرض بمساويهم كثيرة، ويكفيهم ثناء الله عليهم ورضاه عنهم.

قال الإمام أبو عثمان الصابوني رحمه الله بعد ذكر هذه الآية من سورة الفتح [فمن أحبهم وتولاهم ودعا لهم ورعى حقوقهم وعرف فضلهم فهذا في الفائزين، ومن أبغضهم وسبَّهم ونسبهم إلى ماتنسبهم إليه الروافض والخوارج لعنهم الله فقد هلك في الهالكين] [2].

وقال رحمه الله في موقف أهل السنة إزاء الصحابة [ويرون الكفَّ عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ وتطهير الألسنة عن ذكر مايتضمن عيباً لهم ونقصاً فيهم ويرون الترحم على جميعهم والموالاة لكافتهم . . . .] [3].

وقال تعالى: ﴿وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾ قال الإمام سفيان الثوري رحمه الله: (هم أصحاب رسول الله ﷺ) [4].

وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ

---

(١) هكذا في المطبوع ولعلها والله أعلم ومن غاظه الصحابة.

(٢) عقيدة السلف وأصحاب الحديث. للصابوني رحمه الله ص ٧٨.

(٣) المصدر السابق ص ٨٠-٨١.

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره آية ٥٩ سورة النمل.



يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة الحشر، آية: ٨، ٩، ١٠].

وقال الإمام مالك بن أنس رحمه الله: (من سب أصحاب رسول الله ﷺ فليس له في الفيء حق يقول الله عز وجل: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ الآية. هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ الذين هاجروا معه ثم قال: ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ ﴾ الآية. هؤلاء الأنصار ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ ﴾ فالفيء لهؤلاء الثلاثة فمن سب أصحاب رسول الله ﷺ فليس من هؤلاء الثلاثة ولا حق له في الفيء) (١).

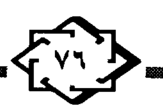
إلى غير ذلك من الآيات التي جاءت في مدح الصحابة والثناء عليهم.

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال. قال رسول الله ﷺ: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم . . . . . » (٢) الحديث.

---

(١) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٧/ ١٢٦٨ فقرة ٢٤٠٠، ولمصعب ابن سعد رحمه الله كلام مثله خرجه اللالكائي ٧/ ١٢٥٠-١٢٥١ فقرة رقم ٢٣٥٤.

(٢) متفق عليه أخرجه الإمام البخاري في الصحيح ٧/ ٥ فتح برقم ٣٦٥١، والإمام مسلم أيضاً في الصحيح ١٦/ ٨٥ النووي.



وعن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال . قال رسول اللَّه ﷺ : «لا تسبوا أصحابي فو الذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أُحد ذهباً مابلغ مد أحدهم ولا نصيفه»(١) .

وعن سعيد بن زيد رضي الله عنه قال : (والله لمشهد شهده رجل مع رسول الله ﷺ يغبر وجهه أفضل من عمر أحدكم ولو عُمِرَ عُمْرَ نوح عليه السلام) (٢) .

وعن ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال : (لاتسبوا أصحاب محمد فلمقام أحدِهم ساعةً خير من عمل أحدكم عمره) (٣) وقال ابن عباس رضي اللَّه عنهما : (خير من عمل أحدكم أربعين سنة) (٤) . وقال إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمه الله في اعتقاده في الصحابة رضي الله عنهم : (فأدناهم صحبة هو أفضل من القرن الذين لم يروه ولو لقوا الله بجميع الأعمال . كان هؤلاء الذين صحبوا النبي ﷺ ورأوه وسمعوا منه ، ومن رآه بعينه وآمن به

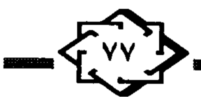
---

(١) متفق عليه أخرجه الإمام البخاري في الصحيح ٧/ ٢٥ فتح برقم ٣٦٧٣ ، والإمام مسلم ١٦/ ٩٢ النووي .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١/ ١٨٧ . واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٧/ ١٤١٢ فقرة ٢٧١٩ . وابن أبي عاصم في السنة ص ٦٠٦ برقم ١٤٣٣ قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله إسناده صحيح ٣/ ١٠٨ ـ ١٠٩ ح ١٦٢٩ .

(٣) أخرجه الإمام اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٧/ ١٢٤٩ برقم ٢٣٥٠ ، وأخرجه ابن ماجة في السنن برقم ١٦٢ ، وابن أبي عاصم في السنة ١٠٠٦ ، وقال الألباني «حسن» .

(٤) قال شارح الطحاوية ابن أبي العز الحنفي رحمه الله . رواه ابن بطه باسناد صحيح . وصححه الألباني في تخريجه للطحاوية حاشية رقم ٦٦٩ .



ولو ساعة أفضل بصحبته من التابعين ولو عملوا كل أعمال الخير) (١) . وعن أبي عبدالرحمن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : «إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه، . . . . » (٢).

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال : «من كان منكم متأسياً فليتأس بأصحاب محمد ﷺ فانهم كانوا أبرَّ هذه الأمة قلوباً وأعمقَها علماً وأقلَها تكلفاً وأقومَها هدياً وأحسنها حالاً، قوما اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم» (٣).

قال أبوالحسن البربهاري : (وأفضل هذه الأمة والأمم كلها بعد الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين أبوبكر، ثم عمر ثم عثمان [ثم ذكر بقية العشرة] ثم أفضل الناس بعد هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ القرن الأول الذي بعث

---

(١) أخرجه اللالكائي في شرح السنة ١/ ١٦٠ فقرة ٣١٧.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١/ ٣٧٩. وأبو داود الطيالسي في المسند برقم ٢١٦. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ١٧٧ ـ ١٧٨ رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير ورجاله موثقون. وقال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله. اسناده صحيح المسند ٥/ ٢١١ برقم ٣٦٠٠ ـوقال الشيخ ناصر الدين حفظه الله إنه «حسن».

(٣) أخرجه ابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله ٢/ ٩٧. باب كان الصحابة على الهدي المستقيم. وأخرجه ابو نعيم الاصبهاني في الحلية ١ / ٣٠٥-٣٠٦. عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

وعزاه ابن القيم للإمام أحمد. اعلام الموقعين ٤/ ١٧٥.

فيهم، المهاجرون الأولون والأنصار، وهم من صلّىٰ القبلتين، ثم أفضل الناس بعد هؤلاء من صحب رسول الله ﷺ يوماً أو شهراً أو سنة، أو أقل من ذلك أو أكثر، نترحم عليهم، ونذكر فضلهم، ونكف عن زللهم، ولا نذكر أحداً منهم إلا بالخير لقول رسول الله ﷺ: «إذا ذكر أصحابي فأمسكوا» وقال سفيان بن عيينة: (من نطق في أصحاب رسول الله ﷺ بكلمة فهو صاحب هوىٰ) (١).

وقد حذر السلف رحمهم الله من الوقيعة بالصحابة وسبهم أو التعرض لذكر ماوقع بينهم وجعلوا هذا الأمر علامة يميزون به بين أهل السبيل المستقيم وبين أهل الهوىٰ والبدع والأغراض المشبوهة التي ليست من دين الله في شيء.

فمن سلم منه أصحاب محمد ﷺ وكان على السبيل فهو مسلم، ومن طعن فيهم أو تنقصهم اتهموه علىٰ الإسلام. وإليك كلام الأئمة في ذلك.

قال ميمون بن مهران قال لي ابن عباس: [. . . وإياك وشتم أحد من أصحاب محمد ﷺ فيكبك الله في النار علىٰ وجهك](٢).

قال الإمام مالك بن أنس رحمه الله: (من لزم السنة وسلم منه أصحاب رسول الله ﷺ ثم مات، كان مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وإن قصر في العمل) (٣).

قال الإمام أبوزرعة الرازي: (إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من

---

(١) كتاب شرح السنة للبربهاري ص ٢٨، فقرة ٢٢.

(٢) أخرجه اللاكائي في شرح السنة ٣/ ٦٣٣، فقرة ١١٣٤.

(٣) كتاب السنة للبربهاري ص ٥٩، فقرة ١٢٧.



أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، لأن رسول الله ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدّىٰ إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولىٰ وهم زنادقة) (١).

وقال الإمام البربهاري رحمه الله : (وإذا رأيت الرجل يطعن علىٰ أصحاب النبي ﷺ فاعلم أنه صاحب قول سوء وهوىٰ) (٢).

وقال أيضاً : (واعلم أنه من تناول أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فأعلم أنه إنما أراد محمداً ﷺ وقد آذاه في قبره) (٣).

ويصدق ذلك ما أخرجه اللالكائي عن عبدالله بن محمد بن أبي مريم قال : (قيل لمحمد بن يوسف ماتقول في أبي بكر وعمر ؟ .

قال : قد فضلهما رسول الله ﷺ، وقد أخبرني رجل من قريش أن بعض الخلفاء أخذ رجلين من الرافضة فقال لهما : والله لإن لم تخبراني بالذي يحملكما علىٰ تنقص أبي بكر وعمر لأقتلنكما فأبيا .

فقدم أحدهما فضرب عنقه .

ثم قال للآخر : والله لأن لم تخبرني لاحقنك بصاحبك .

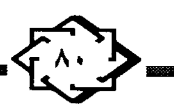
[قال] : فتؤمني ؟

قال له : نعم

(١) أخرجه الخطيب في الكفاية في علم الرواية ص ٦٧ .

(٢) كتاب السنة للبربهاري ص ٥٠، فقرة ١٠٤ .

(٣) كتاب السنة للبربهاري ص ٥٤، فقرة ١١٦ .



قال : فإنا أردنا النبي ﷺ فقلنا : لا يتابعنا الناس عليه، فقصدنا هذين الرجلين فتابعنا الناس على ذلك.

قال : محمد بن يوسف : ما أرى الرافضة والجهمية إلا زنادقة [١].

وقال الإمام أحمد في اعتقاده : (ومن انتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ أو ابغضه لحدث كان منه أو ذكر مساوئه كان مبتدعاً حتى يترحم عليهم جميعاً ويكون قلبه لهم سليماً) [٢].

وقال أيضاً : (إذا رأيت أحداً يذكر أصحاب رسول الله ﷺ بسوء فاتهمه على الإسلام) [٣].

وسأل عبدالله ابن الإمام أحمد أباه عن رجل سب رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ فقال : (يضرب وما أراه على الإسلام) [٤].

وقام الإمام الشعبي رحمه الله بعمل مقارنة بين اليهود والروافض فما من خسة ورذيلة اتصف بها اليهود إلا وللروافض مثلها حتى قال : (وفضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلتين : سئلت اليهود من خير أهل ملتكم ؟

قالوا : أصحاب موسى.

وسئلت الرافضة : من شر أهل ملتكم ؟

---

(١) أخرجه اللالكائي في شرح السنة ٨/ ١٤٥٧ فقرة ٢٨١٢.

(٢) المصدر السابق، ١/ ١٦٢، فقرة ٣١٧.

(٣) المصدر السابق، ٧/ ١٢٥٢، فقرة ٢٣٥٩.

(٤) أخرجه اللالكائي في شرح السنة ٧/ ١٢٦٦، فقرة ٢٣٨٦.



قالوا : أصحاب مُحمد .

وسئلت النصارى : من خير أهل ملتكم ؟

قالوا : حواري عيسى

وسئلت الرافضة : من شر أهل ملتكم ؟

قالوا : حواري محمد .

أُمروا بالاستغفار لهم فسبوهم . . . .) (١) .

والعجب كل العجب من علماء الإسلام وسلاطين هذا الدين، كيف تركوهم على هذا المنكر البالغ في القبح إلى غايته ونهايته، فإن هؤلاء المخذولين لما أرادوا رد هذه الشريعة المطهرة ومخالفتها، طعنوا في أعراض الحاملين لها، الذين لا طريق لنا إليها إلا من طريقهم، واستزلوا أهل العقول الضعيفة والإدراكات الركيكة بهذه الذريعة الملعونة والوسيلة الشيطانية، فهم يظهرون السب واللعن لخير الخليقة، ويضمرون العناد للشريعة ورفع أحكامها عن العباد.

وليس في الكبائر ولا في معاصي العباد أشنع ولا أخنع ولا أبشع من هذه الوسيلة إلى ما توسلوا بها إليه، فإنه أقبح منها لأنه عناد لله عز وجل، ولرسوله ﷺ ولشريعته.

فكان حاصل ما هم فيه من ذلك أربع كبائر، كل واحدة منها كفر بواح :

الأولى: عناد الله عز وجل.

---

(١) المصدر السابق، ٨/ ١٤٦٢، فقرة ٢٨٢٣.

الثانية: العناد لرسو له ﷺ وآله وسلم.

الثالثة: العناد للشريعة المطهره وكيدها، ومحاولة إبطالها.

الرابعة: تكفير الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، الموصوفين في كتاب الله بأنهم أشداء على الكفار، وأن الله سبحانه يغيظ بهم الكفار وأنه قد رضي عنهم[(١)].

وبعد هذا نعود إلى ما نحن بصدد بيانه وهو مواقف الصحابة رضي الله عنهم من أوامر رسول الله ﷺ ونواهيه.

فمن تلك المواقف والمشاهد الدالة على إستجابة الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين لله ولرسوله ﷺ.

موقف المهاجرين رضي اللّه عنهم وأرضاهم، من أمر رسول اللّه ﷺ لهم بالهجرة.

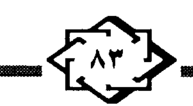
فإنه ﷺ لما بايع الأنصار رضي اللّه عنهم على النصرة له ولمن اتبعه وأوى إليهم من المسلمين، أمر رسول اللّه ﷺ أصحابه من المهاجرين من قومه ومن معه بمكة من المسلمين، بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها، واللحوق بإخوانهم من الأنصار.

وقال ﷺ لهم: «إن اللّه عزَّ وجلَّ قد جعل لكم إخواناً وداراً تأمنون بها. فخرجوا أرسالاً يتبع بعضهم بعضاً»[(٢)].

---

(١) الدين الخالص للشيخ محمد صديق حسن خان رحمه الله ٣/ ٤٠٤.

(٢) انظر سيرة ابن هشام ٢/ ٨٠ الاذن لمسلمي مكة بالهجرة إلى المدينة. وذكره ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية ٣/ ٦٩.



فتركوا الأهل والأقارب. والعشيرة والمساكن. خرجوا فارين بدينهم. فآثروا صحبة رسول اللَّه ﷺ على من سواه.

فكانوا كما قال الله عنهم: ﴿**الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله**﴾.

وهل هناك موقف أبلغ في الطاعة من هذا ؟.

ولكنها الثقة بموعود اللَّه، والإذعان لأوامر رسول اللَّه ﷺ، ولهم من تلك المواقف الكثير، وسأذكر مواقف أفراد منهم، وأما على مستوى المهاجرين جميعاً ففيما ذُكر دلالة على ما أردنا بيانه. وباللَّه التوفيق.

وأما الذين تبؤوا الدار والإيمان أنصار رسول اللَّه ﷺ فلقد كان لهم في غزوة بدر الكبرى مواقف استحقوا أن يكونوا بها أهلاً لصحبة خير الأنام محمد عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم.

فإن رسول اللَّه ﷺ لما بلغه خروج قريش. قال: «أشيروا علي أيها الناس وإنما يريد الأنصارَ رضي اللَّه عنهم. وذلك أنهم عدد الناس. وأنهم حين بايعوه بالعقبة بايعوه على أن ينصروه إذا قدم عليهم يثرب فيمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وأزواجهم وأبنائهم»[1] فكأن رسول اللَّه ﷺ خشي ألا تكون الأنصارُ ترى عليها نصره إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه. وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم. فلما قال ذلك رسول اللَّه ﷺ قال له. سعد بن معاذ: واللَّه لكأنك تريدنا يارسول اللَّه ؟ قال «أجل» قال: فقد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ماجئت به هو الحق، وأعطيناك على

---

(١) قصة البيعة في مسند الإمام أحمد رحمه الله ٥/ ٣٢٥ عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه



ذلك عهودنا ومواثيقنا، على السمع والطاعة. فامض يارسول اللّه لما أردت فنحن معك. فو الذي بعثك بالحق. لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك. ماتخلف منا رجل واحد، ومانكره أن تلقى بنا عدونا غدا. إنا لصَبر في الحرب. صدق في اللقاء. لعل اللّه يريك منا ماتقربه عينك. فسر بنا على بركة اللّه. فُسر رسول اللّه ﷺ بقول سعد . . . . »(١).

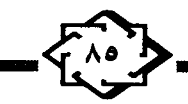
وعن البراء بن عازب رضي اللّه عنهما قال: «كان رسول اللّه ﷺ صلى نحو بيت المقدس ستة عشر ـ أو سبعة عشر شهراً. وكان رسول اللّه ﷺ يحب أن يوجه إلى الكعبة، فأنزل اللّه. ﴿**قد نرى تقلب وجهك في السماء**﴾ فتوجه نحو الكعبة، وقال السفهاءَ من الناس ـ وهم اليهود: ﴿**ماولاهم عن قبلتهم التي كانو عليها ؟ قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم**﴾ فصلى مع النبي ﷺ رجل، ثم خرج بعدما صلى فمر على قومٍ من الأنصار في صلاة العصر نحو بيت المقدس، فقال. هو يشهد أنه صلى مع رسول اللّه ﷺ. وأنه توجه نحو الكعبة. فتحرف القوم حتى توجهوا نحو الكعبة» متفق عليه(٢).

قال ابن حجر: فيه بيان شرف المصطفى ﷺ وكرامته على ربه لاعطائه له ما أحب من غير تصريح بالسؤال. وفيه بيان ماكان في الصحابة

---

(١) أورد القصة ابن هشام في السيرة ٢/ ١٨٨. غزوة بدر استشارة الأنصار. وذكره ابن القيم في الزاد ٣/ ١٧٣. وأصل الرواية في صحيح مسلم ١٢/ ١٢٤ النووي كتاب الجهاد. غزوة بدر.

(٢) متفق عليه أخرجه الإمام البخاري في الصحيح ١/ ٥٩٨ فتح برقم ٣٩٩. والإمام مسلم في الصحيح ٥/ ٩ النووي.



من الحرص على دينهم والشفقة على إخوانهم .

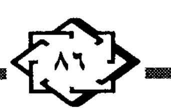
وعن ربيعة بن كعب رضي اللَّه عنه . قال . كنت أخدم النبي ﷺ . فقال ذات يوم «ياربيعة ألا تتزوج» قلت يارسول اللَّه واللَّه ماعندي مايقيم امرأة وما أحب أن يشغلني عن خدمتك شيء ، ثم قال لي يوماً آخر : «ياربيعة ألا تتزوج» فقلت له مثل ذلك ، قال ثم قلت في نفسي واللَّه لرسول اللَّه أعلم بما يصلحني من أمر دنياي وآخرتي مني ، واللَّه لئن قال لي رسول اللَّه ﷺ الثالثة لأقولن نعم ، فقال لي الثالثة «ياربيعة ألا تتزوج» قال : قلت : ليصنع رسول اللَّه ﷺ ماشاء ، فقال : «انطلق إلى آل فلان ناس من الأنصار فقل رسول اللَّه ارسلني يقرأ السلام ويأمركم أن تزوجوني فلانة» فأتيتهم فقلت إن رسول اللَّه ﷺ يأمركم أن تزوجوني فلانة ، فقالوا مرحباً برسول اللَّه وبرسول رسول اللَّه ، واللَّه لا يرجع رسول اللَّه اليوم إلا بحاجته . قال فزوجوني وأكرموني . . . . »(١) .

وعن أبي عزيز بن عمير بن أخي مصعب بن عمير قال : «كنت في الأسارى يوم بدر فقال رسول الله ﷺ : «استوصوا بالأسارى خيراً» . وكنت في نفر من الأنصار فكانوا إذا قدموا عشاءهم أو غداءهم أكلوا التمر وأطعموني الخبز لوصية رسول الله ﷺ إياهم»(٢) .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤/ ٥٨ . وأخرجه أبو داود الطيالسي برقم ١١٧٣ .
وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٥/ ٥٩ برقم ٤٥٧٨ ، قال في المجمع ٤/ ٢٥٧ وفيه مبارك بن فضالة وحديثه حسن وبقية رجال أحمد رجال الصحيح .

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير ٢٢/ ٣٩٣ ، وفي الصغير ١/ ١٦٢ برقم ٤٠١ ، وقال في المجمع ٦/ ٨٦ . إسناد حسن .



أبو بكر رضي اللّه عنه.

وأما أصدق الأمة وأبرهم أبو بكر الصديق رضي اللّه عنه. فلقد سطر له التاريخ مواقف دلت على حرصه على اتباع النبي ﷺ ومن ذلك - موقفه من جيش أسامة بن زيد رضي اللّه عنهما. فعن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: (واللّه الذي لا إله إلا هو لولا أبوبكر استخلف ماعُبد اللّه» ثم قالها ثانية وثالثة، فقيل له. مه يا أباهريرة. فقال «إن رسول اللّه ﷺ وجه أُسامة ابن زيد في سبعمائة إلى الشام. فلما نزل بذي خشب قُبض رسول اللّه ﷺ وارتدت العرب حول المدينة. فاجتمع إليه أصحاب رسول اللّه ﷺ فقالوا يا ابابكر رد هؤلاء، توجه هؤلاء إلى الروم وقد ارتدت العرب حول المدينة؟ فقال: «والذي لا إله غيره، لو جرت الكلاب بأرجل أزواج رسول اللّه ﷺ ماردت جيشاً وجهه رسول اللّه، ولا حللت لواء عقده رسول اللّه». فوجه أُسامة . . . .][1].

ومن ذلك موقفه من مانعي الزكاة. فقد قال رضي اللّه عنه «واللّه لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول اللّه ﷺ لقاتلتهم على منعها . . . »[2] وفي رواية «لو منعوني عقالاً».

موقفه من ميراث النبي ﷺ

وعن أم المؤمنين عائشة رضي اللّه عنها «إن فاطمة عليها السلام بنت

---

(١) نقله الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ٦/ ٣٠٥ عن الحافظ أبي بكر البيهقي وساق سنده هناك.

(٢) متفق عليه رواه البخاري في الصحيح كتاب الزكاة باب وجوب الزكاة ٣/ ٣٠٨ فتح برقم ١٤٠٠. ورواه مسلم في الصحيح كتاب الايمان باب وجوب قتال تارك أحد أركان الاسلام ١/ ٢٠٣ النووي.



رسول اللّه ﷺ سألت أبابكر الصديق رضي اللّه عنه بعد وفاة رسول اللّه ﷺ مما أفاء اللّه عليه». فقال لها أبو بكر : إن رسول اللّه ﷺ قال : «لا نورث ماتركنا صدقة» فغضبت فاطمة بنت رسول اللّه ﷺ فهجرت أبا بكر، فلم تزل مهاجرته حتى توفيت، وعاشت بعد رسول اللّه ﷺ ستة أشهر. قالت : وكانت فاطمة تسأل أبا بكر نصيبها مما ترك رسول اللّه ﷺ من خيبر وفدك، وصدقته بالمدينة. فأبى أبو بكر عليها ذلك وقال : (لست تاركًا شيئاً كان رسول اللّه ﷺ يعمل به إلا عملت به، فإني أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ . . .)(١) فإذا كان هذا فضل الأمة بعد نبيها الصديق الأكبر يخشى على نفسه الزيغ أن تدرك شيئًا من أمر رسول الله ﷺ فكيف عن عداه. ، من يأمن البلا على نفسه بعد أبي بكر. وفي رواية أنه قال «واللّه لا أدع أمراً رأيت رسول اللّه ﷺ يصنعه فيه إلا صنعته» (٢).

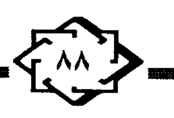
أبو بكر ورغبته في متابعة النبي ﷺ فيما ليس له فيه اختيار :

عن عائشة رضي الله عنها قالت : «دخلت على أبي بكر رضي الله عنه فقال : في كم كفنتم النبي ﷺ ؟ قالت : في ثلاثة أثواب بيض سحولية ليس فيها قميص ولا عمامة، وقال لها : في أي يوم توفي رسول الله ﷺ ؟ قالت : يوم الأثنين. قال : فأيُ يوم هذا ؟ قالت : يوم الاثنين. قال : أرجو فيما بيني وبين الليل. فنظر إلى ثوب عليه كان يُمرض فيه، به ردع من زعفران فقال : اغسلوا ثوبي هذا وزيدوا عليه ثوبين فكفنوني فيهما. قلت

---

(١) رواه البخاري في الصحيح كتاب فرض الخمس باب فرض الخمس ٦/ ٢٢٧ فتح برقم ٣٠٩٢-٣٠٩٣.

(٢) رواه البخاري في الصحيح كتاب الفرائض باب قول النبي ﷺلا نورث ماتركنا صدقة ١٢/ ٧ فتح برقم ٦٧٢٦.



إن هذا خَلَق. قال: إن الحي أحقُ بالجديد من الميت، إنما هو للمهملة. فلم يتوف حتى أمسى من ليلة الثلاثاء، ودُفن قبل أن يصبح». رواه البخاري برقم ١٣٨٧.

عمر بن الخطاب رضي الله عنه

وأما عن الفاروق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه فإليك ماحدث به ابنه عبداللّه، إنه قال لعمر: إني سمعتُ الناس يقولون مقالةً فآليتُ أن أقولها لك، زعموا أنك غير مستخلف. فوضع رأسه ساعةً ثم رفعه فقال: (إن اللّه عزَّ وجلَّ يحفظ دينه، وإني إن لا أستخلف فإن رسول اللّه ﷺ لم يستخلف، وإن أستخلف فإن أبابكر قد استخلف).

قال [عبداللّه] فو اللّه ماهو إلا أن ذكر رسول اللّه ﷺ وأبابكر. فعلمت أنه لم يكن يعدل برسول اللّه ﷺ أحداً وأنه غير مستخلف» (١) واللفظ لأحمد.

وعن عابس بن ربيعة عن عمر رضي اللّه عنه (إنه جاء إلى الحجر الأسود فقبله فقال: «إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت النبي ﷺ يقبلك ماقبلتك) (٢).

وفي قول عمر هذا، التسليم للشارع في أمور الدين وحسن الاتباع فيما لم يكشف عن معانيها. وهو قاعدة عظيمة في اتباع النبي ﷺ فيما

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١/ ٤٧. وأخرجه الإمام مسلم في الصحيح كتاب الامارة باب الاستخلاف وتركه ١٢/ ٢٠٥ النووي.

(٢) متفق عليه رواه البخاري في الصحيح كتاب الحج باب ماذكر في الحجر الاسود ٣/ ٥٤٠ فتح. والإمام مسلم في الصحيح كتاب الحج باب استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف ٩/ ١٦.

يفعله، ولو لم يعلم الحكمة فيه، وفيه دفع ماوقع لبعض الجهال من أن في الحجر الأسود خاصة ترجع إلى ذاته، وفيه بيان السنن بالقول والفعل [١].

وقال رضي اللّه عنه بعد أن قبل الحجر الأسود (مالنا وللرمل، إنما كنا راءينا به المشركين وقد أهلكهم اللّه. ثم قال: شيء صنعه النبي ﷺ فلا نحب أن نتركه) [٢].

وعن يعلى بن أمية قال كنت مع عمر رضي اللّه عنه فاستلم الركن، قال يعلى: وكنت مما يلي البيت فلما بلغت الركن الغربي الذي يلي الأسود وحدرت بين يديه لأستلم، فقال ماشأنك، قلت ألا تستلم هذين؟ قال ألم تطف مع رسول ﷺ، فقلت بلى، قال أرأيته يستلم هذين الركنين يعني الغربيين؟ قلت لا، قال فليس لك فيه أسوة حسنة، قلت بلى، قال: فانفذ عنك» [٣].

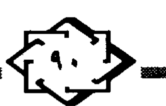
وعن يعقوب بن زيد أن عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه خرج في يوم جمعة وقطر عليه ميزابُ العباس، وكان على طريق عمر إلى المسجد. فقلعه عمر، فقال له العباس: قلعت ميزابي، واللّه ماوضعه حيث كان إلا رسول اللّه ﷺ بيده، قال عمر: لا جرم أن لا يكون لك سُلم غيري ولا يضعه إلا أنت بيدك. قال فحمل عمر العباس على عُنقه فوضع رجليه على منكبي عمر ثم أعاد الميزاب حيث كان فوضعه موضعه وفي رواية فقال عمر

---

(١) فتح الباري ٣/ ٥٤١.

(٢) رواه الإمام البخاري في الصحيح كتاب الحج باب الرمل ٣/ ٥٥٠ فتح برقم ١٦٠٥.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٤/ ٢٢٢ والبيهقي في السنن ٥/ ٧٧ وعبدالرزاق في المصنف حديث رقم ٨٩٤٥.



للعباس : فأنا أعزم عليك لِما صعدت على ظهري حتى تضعه في الموضع الذي وضعه رسول اللّه ﷺ. ففعل ذلك العباس . [(١)]

وعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال : (قدم عُيينة بن حصن ابن حذيفة بن بدر فنزل على ابن أخيه الحُرّ بن قيس بن حصنٍ وكان من النفر الذين يُدْنيهم عمر، وكان القُراءُ أصحابَ مجلس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شباباً فقال عُيينة لابن أخيه : يا ابن أخي هل لك وجهٌ عند هذا الأمير فتستأذن لي عليه ؟ قال سأستأذن لك عليه، قال ابن عباس فاستأذن لعُيينه، فلما دخل قال : يا ابن الخطاب، والله ما تعطينا الجزل وماتحكم بيننا بالعدل. فغضب عمر حتى هم بأن يقع به، فقال الحُر : ياأمير المؤمنين، إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف، اية: ١٩٩] وإن هذا من الجاهلين. فو الله ماجاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقّافاً عند كتاب الله) [(٢)].

قوله (فتستأذن لي عليه) أي في خلوة، وإلا فعمر كان لا يحتجب إلا وقت خلوته وراحته، ومن ثم قال له سأستأذن لك عليه، أي حتى تجتمع به وحدك [(٣)].

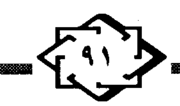
وعن أبي وائل قال : جلستُ مع شيبة على الكرسي في الكعبة فقال : لقد جلس هذا المجلس عمر رضي الله عنه فقال «لقد هممتُ أن لا أدع فيها

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ١/ ٢١٠ وابن سعد في الطبقات ٤/ ٢٠ وأخرج الحاكم في المستدرك قصة طويلة متضمنة لما في هذا الاثر ٣/ ٣٣١-٣٣٢.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في الصحيح كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ١٣/ ٢٦٤، فتح برقم ٧٢٨٦.

(٣) فتح الباري ١٣/ ٢٧٢.



صفراء ولا بيضاء إلا قسمتُه. قلت إن صاحبيك لم يفعلا. قال: هما المرآن أقتدىٰ بهما»(١) وفي رواية قال شيبة لعمر: «ما أنت بفاعل، قال: بلىٰ لأفعلن، قال: قلت: ما أنت بفاعل، قال: لم؟ قلت لأن رسول الله ﷺ، قد رأىٰ مكانه، وأبوبكر، وهما أحوج منك إلىٰ المال فلم يحركاه، فقام فخرج»(٢) قال ابن بطال: أراد عمر قسمة المال في مصالح المسلمين فلما ذكره شيبة أن النبي ﷺ وأبابكر بعده لم يتعرضا له لم يسعه خلافهما، ورأىٰ أن الاقتداء بهما واجب(٣).

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد فصل في السرايا التي بعثها رسول الله ﷺ بعد غزوة خيبرة(٤). ومنها: سريةُ عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ثلاثين راكباً نحو هوازن، فجاءهم الخبر، فهربوا وجاؤوا محالهم، فلم يَلْقَ منهم أحداً، فانصرف راجعاً إلىٰ المدينة، فقال له الدليل: هل لك في جمعٍ من خثعم جاؤوا سائرين، وقد أجدبت بلادهم؟. [فقال عمر: لم يأمرني رسول الله ﷺ بهم، ولم يَعرِض لهم].

وعن عبدالرحمن بن أبي ليلىٰ قال: نظر عمر إلىٰ أبي عبدالحميد أو ابن عبدالحميد شك أبو عوانة وكان اسمه محمدا ورجل يقول له يامحمد فعل الله بك وفعل وفعل قال: وجعل يسبه قال: فقال أمير المؤمنين عند ذلك: يا ابن زيد ادن مني قال: ألا أرىٰ محمدا يُسب بك لا والله لا تُدعىٰ

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في الصحيح كتاب الحج باب كسوة الكعبة ١٣/ ٥٣٣ برقم ١٥٩٤.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الحج باب في مال الكعبة برقم ٢٠٣١.

(٣) فتح الباري ١٣/ ٢٦٦.

(٤) زاد المعاد ٣/ ٣٥٩.

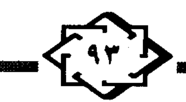
محمدا مادمت حيا فسماه عبدالرحمن ثم أرسل إلى بني طلحة ليغير أهلهم اسماءهم وهم يومئذ سبعة وسيدهم وأكبرهم محمد قال. فقال: محمد بن طلحة أنشدك الله يا أمير المؤمنين فوالله إن سماني محمدا يعني الا محمد ﷺ فقال عمر: قوموا لا سبيل لي إلي شيء سماه محمد (١).

وقد روى حبر الأمة وترجمان القرآن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما. في سبب نزول قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ٨٣] روى حديثًا طويلاً فيه من الفوائد والعبر ما يستحث الهمم على إستنباطها والإفادة منها (٢).

فجاء فيه. قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: فقلت لها ـ أي حفصة ـ أين رسول الله ﷺ؟ قالت: هو في خزانته في المَشْرُبة، فدخلتُ فإذا أنا برباح غلام رسول الله ﷺ قاعداً على أسكفة المشربة مُدَلٍّ رجليه على نقير من خشب ـ وهو جذع يرقى عليه رسول الله ﷺ وينحدر ـ فناديتُ: يا رباح، استأذن لي عندك على رسول الله ﷺ، فنظر رباح إلى الغرفة ثم نظر إليّ فلم يقل شيئًا، ثم قلت: يا رباح، استأذن لي عندك على رسول الله ﷺ، فنظر رباح إلى الغرفة ثم نظر إليّ فلم يقل شيئًا، ثم رفعت صوتي فقلتُ: يا رباح استأذن لي عندك على رسول الله ﷺ، فإني أظُنُّ أنّ رسول الله ﷺ ظن أني جئت من أجل حفصة، والله لئن أمرني رسول الله ﷺ بضرب عنقها

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤/ ٢١٦، وابن الأثير في أسد الغابة ٤/ ٣٢٣.

(٢) استنبط بعضها الشيخ عبدالمالك بن أحمد المبارك في كتابه، مدارك النظر في السياسة ص١٩٣ وما بعدها.



لأضربنَّ عُنُقها، رفعت صوتي، فأومأ إلي أن إرقه فدخلت على رسول الله ﷺ وهو مضطجع على حصير فجلستُ. . .] الحديث [١].

ففي هذا أكبر شاهد على استجابة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لرسول الله ﷺ، حتى ولو أمره بضرب عنق ابنته حفصة رضي الله عنها، وما كان رسول الله ﷺ ليأمر بذلك، ولكن بمثل هذا الاستعداد وتوطين النفس على الانقياد للرسول ﷺ والصدق في طاعته نال ابن الخطاب أسنى المراتب وأعلى المنازل، فرضي الله عنه ما كان أكمل استعداده لطاعة رسوله في كل وقت وعلى أي حال.

وقد تجلت هذه الطاعة فيما جرى بين الشيخين أبي بكر الصديق وأبي حفص عمر الفاروق رضي اللّه عنهما في المنافسة في تحقيق الإذعان والإنقياد لأوامر الرسول ﷺ، فعن زيد بن أسلم عن أبيه قال: سمعت عمر قال: «أمرنا رسول اللّه ﷺ ـ أن نتصدق. فوافق ذلك مالاً عندي. فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقتُهُ يوماً، فجئت بنصف مالي. فقال رسول اللّه ﷺ «ما أبقيت لأهلك؟ قلت: مثله. قال: فأتى أبو بكر بكل ما عنده. فقال: يا أبابكر ما أبقيت لأهلك؟ فقال؟ أبقيت لهم اللّه ورسوله. فقلت: لا أسابقك إلى شيء أبداً» [٢].

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في الصحيح ٩/ ١٨٧، حديث رقم ٥١٩١ فتح. وأخرجه الإمام مسلم في الصحيح ١٠/ ٨٢ ـ ٨٣ واللفظ له.

(٢) أخرجه أبوداود في السنن والترمذي والدارمي والحاكم في المستدرك ١/ ١٤ وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي، قال الألباني اسناده حسن راجع المشكاة ٣/ ١٧٠٠ حديث ٦٠٢١.

عثمـــان بن عفــان رضي الله عنه

وأمـا من يُدعىٰ في الملأ الأعلىٰ ذا النورين [١]. أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي اللّه عنه وأرضاه، فمعلوم ماحصل منه في تجهيز جيش العسرة، حين حث النبي ﷺ أصحابه علىٰ تجهيز ذلك الجيش. فلقد كانت له المواقف الحميدة التي أظهر فيها حبه لهذا الدين وصدق طاعته للرسول الأمين ﷺ.

فعن عبدالرحمن بن سمرة قال: جاء عثمان بن عفان إلىٰ النبي ﷺ بألف دينار في ثوبه حين جهز النبي ﷺ جيش العسرة فصبها في حجر النبي ﷺ فجعل النبي ﷺ يقلبها بيده ويقول «ما ضر ابن عفان ماعمل بعد اليوم يرددها مرارا» [٢].

وفي غزوة الحديبية لما أرسله النبي ﷺ إلىٰ قريش كان له موقف الصادق في متابعته المظهر لطاعته. ذلك أن المسلمين قالوا وهم بالحديبية قبل رجوع عثمان من مكة: خلص عثمان من بيننا إلىٰ البيت فطاف به، فقال رسول اللّه ﷺ: «ما أظنه طاف بالبيت ونحن محصورون» قالوا: وما يمنعه يارسول اللّه وقد خلص، قال: «ذلك ظني به أن لا يطوف بالكعبة حتىٰ يطوف معنا» فرجع عثمان، فقال المسلمون: أشتفيت يا أبا عبداللّه من

---

(١) قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه أخرجه خيثمة في فضائل الصحابة وابن عساكر ذكر ذلك السيوطي في تاريخ الخلفاء ١٢٥، وانظر القتح ٦/ ٦٧.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٥/ ٦٣. وابن أبي عاصم في السنة ١٢٧٩. والترمذي في السنن أبواب المناقب مناقب عثمان بن عفان رضي اللهُ عنه برقم ٣٩٦٧. والحاكم في المستدرك ٣/ ١٠٢. وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي. وقال الألباني حسن. انظر المشكاة حديث رقم ٦٠٦٤.



الطواف بالبيت ؟ فقال عثمان : بئس ماظننتم بي ، فوالذي نفسي بيده لو مكثت بها مقيماً سنة ورسول اللّه ﷺ مقيم بالحديبية ماطفت بها حتىٰ يطوف بها رسول اللّه ﷺ. ولقد دعتني قريش إلىٰ الطواف بالبيت فأبيت ، قال المسلمون : رسول اللّه ﷺ كان أعلمنا باللّه وأحسننا ظناً» (١).

عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه

وأما عن رابعهم أبي الحسن علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه فلقد كان له موقفٌ قدم فيه النفس فداءً لأبي القاسم ، واستجابة لأمره ﷺ. وذلك حينما أذن اللّه عزَّ وجلَّ لنبيه ﷺ في الهجرة إلىٰ المدينة .

فعن ابن عباس رضي اللّه عنهما في قوله تعالىٰ : ﴿ **وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك** ﴾ قال تشاورت قريش ليلة بمكة فقال بعضهم : إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق يريدون النبي ﷺ. وقال بعضهم : بل اقتلوه ، وقال بعضهم : بل أخرجوه ، فأطلع اللّه عزَّ وجلَّ نبيَّه علىٰ ذلك فبات عليٌّ علىٰ فراش النبي ﷺ تلك الليلة . وخرج النبي ﷺ حتىٰ لحق بالغار ، وبات المشركون يحرسون علياً يحسبونه النبي ﷺ فلما أصبحوا ثاروا إليه . فلما رأو علياً رد اللّه مكرهم . . . . » (٢).

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبه في المصنف ١٤/ ٤٤٢ ـ ٤٤٣ برقم ١٨٦٩٩ . والبيهقي فيدلائل النبوة ٤/ ١٣٣ . باب إرسال النبي ﷺ عثمان بن عفان رضي الله عنه إلىٰ مكة حين نزل الحديبية ودعائه أصحابه إلىٰ البيعة . وأخرجه ابن إســحاق في المغازي كما في سيرة ابن هشام ٣/ ٢٠١ وابن جرير الطبري في تاريخه عن طريق ابن اسحاق ٣٠/ ٢٢٣ . وذكره صاحب كنز العمال ١٠/ ٤٨١ ـ ٤٨٣ . وابن كثير في البداية والنهاية ٤/ ١٦٩ . وابن القيم زاد المعاد ٣/ ٢٩١ . وابن سيد الناس في السيرة .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١/ ٣٤٨ . قال الحافظ في الفتح ٧/ ٢٧٨ وذكر أحمد من حديث ابن عباس بإسناد حسن فذكره .



وعن عكرمة قال : لما خرج النبي ﷺ وأبوبكر إلى الغار، أمر علي بن أبي طالب، فنام في مضجعه، فبات المشركون يحرسونه، فإذا رأوه نائما حسبوا أنه النبي ﷺ فتركوه فلما أصبحوا ثاروا إليه وهم يحسبون أنه النبي ﷺ. فإذا هم بعليّ . . . »(١) .

وعن أبي هريرة رضي اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ قال يوم خيبر : «لأعطين هذه الراية رجلاً يحب اللّه ورسوله يفتح اللّه على يديه» قال عمر بن الخطاب ما أحببت الإمارة إلا يومئذ، قال فتساورت لها رجاءَ أن أدعى لها، قال : فدعا رسول اللّه ﷺ عليَّ بن أبي طالب فأعطاه إياها، وقال : «أمشِ ولا تلتفتْ حتى يفتح اللّه عليك» قال : فسار عليٌّ شيئاً ثم وقفَ ولم يلتفتْ، فصرخ يارسولَ اللّه على ماذا أقاتلُ الناسَ ؟، قال : «قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا اللّه وأن محمداً رسول اللّه، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على اللّه»(٢) .

وهذا الحديث [فيه فضائل ظاهرة لعلي رضي اللّه عنه وبيان شجاعته وحسن مراعاته لأمر رسول اللّه ﷺ وحبه اللّه ورسوله وحبهما إياه](٣) .

وأما عن كاتب الوحي لرسول اللّه ﷺ وأول من غزا البحر معاوية بن أبي سفيان رضي اللّه عنه وعن أبيه .

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان ٦/ ٢٨٨ . وقال عبدالله السعد وأصله في مسند الإمام أحمد وهو حديث حسن . وذلك عند مطالعته لهذا البحث .

(٢) أخرجه الإمام مسلم في الصحيح بهذا اللفظ في كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم فضل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ١٥/ ١٧٦ النووي . وللبخاري نحوه برقم ٣٧٠٢ .

(٣) انظر شرح النووي لصحيح مسلم ١٥/ ١٧٧ .

فعن أبي الفيض الشامي قال : سمعت سليم بن عامر يقول : «كان بين معاوية وبين الروم عهد، فكان يسير في بلادهم، حتىٰ إذا انقضىٰ العهد أغار عليهم، وإذا رجل علىٰ دابة، أو علىٰ فرس، وهو يقول : اللّٰه أكبر، وفاء لا غدر، (مرتين)، فإذا هو عمرو بن عبسة السلمي، فقال له معاوية : ماتقول؟ قال عمرو : سمعت رسول اللّٰه ﷺ يقول : «من كان بينه وبين قوم عهد، فلا يحلن عُقدَةً ولا يشدها حتىٰ يمضي أمدُها، أو ينبذ إليهم علىٰ سواءٍ»، فرجع معاوية بالناس» (١).

موقف آل العباس رضي الله عنهم أهل السقاية :

عن بكر بن عبدالله المزني قال : كنت جالساً مع ابن عباس عند الكعبة فأتاه أعرابيٌ فقال : مالي أرىٰ بني عمكم يسقون العسل واللبن وأنتم تسقون النبيذ أَمن حاجة بكم أم من بخل ؟ فقال ابن عباس الحمد لله مابنا من حاجةٍ ولا بخل، قدم النبي ﷺ علىٰ راحلته وخلفه أُسامة فاستسقىٰ فأتيناه بإناء من نبيذ فشرب وسقىٰ فضله أُسامة وقال أحسنتم وأجملتم كذا فاصنعوا فلا نريد تغيير ما أمر به رسول ﷺ (٢).

وأما مواقف الصحابة رضي اللّٰه عنهم عموماً من أوامر رسول اللّٰه ﷺ فهاك بعضها.

ففي قصة كعب بن مالك والثلاثة الذين تخلفوا عن رسول اللّٰه ﷺ في غزوة تبوك، وهم كعب بن مالك ومُرارة بن ربيع العمري وهلال بن أمية

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٤/ ٣٨٥-٣٨٦ والطيالسي في سنده صحيفة ١٥٧ برقم ١٠٥٥ . وأبو داود في السنن برقم ٢٣٩٧ والترمذي برقم ١٥٨٠ وقال «حديث حسن صحيح». وقال الألباني إسناده صحيح رجاله ثقات.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الحج باب فضل القيام بالسقاية والثناء علىٰ أهلها ٩/ ٦٤٦٣.

الواقفي، أصدق معاني الطاعة من الصحابة الكرام رضي اللّه عنهم أجمعين لرسول اللّهﷺ. وسوف أذكر بعض تلك المواقف من هذه القصة [١] وهي :

الموقف الأول : قول كعب رضي اللّه عنه (ونهى رسول اللّه ﷺ عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه، قال : فاجتنبنا الناس، أو قال تغيروا لنا، حتى تنكرت لي في نفسي الأرض فما هي الأرض التي أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة. فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان. وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين، وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد . . . .).

أنظر رحمك اللّه إلي الطاعة التي لم يتخللها، لا مُحاباة ولا مُداراة فخمسين ليلة لا يكلمهم أحد من الصحابة رضي اللّه عنهم لأمر رسول اللّه ﷺ.

موقف أبي قتادة رضي الله عنه :

الموقف الثاني : قوله «حتى إذا طال عليّ من جفوة المسلمين مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة وهو ابن عمي وأحب الناس إليّ، فسلمت عليه فواللّه مارد عليّ السلام فقلت له : يا أبا قتادة أنشدك باللّه هل تعلمني أُحب اللّه ورسولهَ ﷺ ؟ فسكت، فعدت فناشدته فسكت، فعدت فناشدته، فقال : اللّه ورسوله أعلم. ففاضت عيناي، فتوليت حتى تسورت الجدار . . . .».

---

(١) رواها الإمام البخاري في الصحيح. كتاب المغازي باب حديث كعب بن مالك ٧/ ٧٦٧ فتح برقم ٤٢١٨.

والإمام مسلم في الصحيح كتاب التوبة. باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه ١٧/ ٨٧ النووي.

فلإمر رسول اللّه ﷺ هجر الصحابة رضي اللّه عنهم أبناء العمومة وأحب الناس إليهم.

فكعب رضي اللّه عنه يقول عن أبي قتادة: «ابن عمي وأحب الناس إلي» ومع ذلك حينما أتاه لم يردّ عليه السلام ولم يكلمه. لماذا؟. لأن رسول اللّه ﷺ عندهم أحب من كل شيء من الوالد والولد ومن بني العم ومن جميع الناس.

وبذلك وصلوا إلى درجات الإيمان لقوله ﷺ: «فو الذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من والده وولده» (١) وفي رواية «من ماله وأهله والناس أجمعين» (٢).

موقف كعب رضي الله عنه

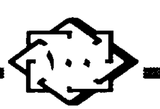
الموقف الثالث: قوله رضي اللّه عنه (حتى إذا مضت أربعون من الخمسين واستلبث الوحي. إذا رسول رسول اللّه ﷺ يأتيني. فقال: إن رسول اللّه ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك، فقلت: أطلقها، أم ماذا أفعل؟ قال لا بل اعتزلها فلا تقربنّها، وأرسل إلى صاحبي بمثل ذلك: فقلت لامراتي: إلحقي بأهلِك فكوني عندهم حتى يقضي اللّه في هذا الأمر).

إن كعباً رضي اللّه عنه حينما أمره رسول اللّه ﷺ باعتزال زوجته استجاب على الفور. بل وأبلغ من ذلك أنه يسأل: «أطلقها أم ماذا أفعل» ولسان حاله يقول. فإن كان فراق الزوجة بطلاقها من أسباب رضى اللّه

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في الصحيح ١/ ٧٤ فتح برقم ١٤.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في الصحيح كتاب الايمان. والنسائي في السنن ٨/ ١١٥ برقم ٥٠١٤.



ورسوله فإني على استعداد تام، ليحصل لي ماهو خير من ذلك، توبة اللَّه ورضى رسوله ﷺ وقد حصل له ذلك بفضل اللَّه ثم بصدقه في طاعة اللَّه ورسوله.

ولما نزل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ [سورة النساء، آية: ٦٦].

قال أناس من أصحاب النبي ﷺ لو فعل ربنا لفعلنا، فبلغ النبي ﷺ فقال: «للإيمان أثبت في قلوب أهله من الجبال الرواسي» (١) وفي رواية «إن من أمتي لرجالاً الإيمان أثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي» (٢).

أبو عبيدة وأبو طلحة وأبي بن كعب رضي الله عنهم

ومنها ما أخرجه الشيخان عن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه، أنه قال كنت أسقي أبا عبيدة بن الجراح وأبا طلحة وأُبيّ بن كعب شراباً من فضيخ وتمر فأتاهم آتٍ فقال: إنّ الخمر قد حرمت فقال أبو طلحة يا أنس قم إلى هذه الجرة فاكسرها فقمت إلى مهراس لنا فضربتها بأصله حتى تكسرت .... » (٣) الحديث.

وفي رواية لمسلم عنه رضي اللَّه عنه، قال كنت ساقي القوم يوم حرمت الخمر في بيت أبي طلحة وماشرابهم إلا الفضيخ البسر والتمر، فإذا منادٍ

---

(١) أخرجه أبي حاتم. ذكر ذلك الحافظ ابن كثير.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان.

(٣) متفق عليه. أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الأشربة باب تحريم الخمر وهي من البر والتمر ١٠/ ٤ فتح برقم ٥٥٨٢.

وأخرجه مسلم في الصحيح كتاب الأشربة باب تعريف الخمر ١٣/ ١٥١ النووي.



ينادي فقال اخرج فانظر، فخرجت فإذا منادٍ ينادي ألا إن الخمر قد حرمت، قال فجرت في سكك المدينة. فقال أبو طلحة اخرج فأهرقها فهرقتها .... »(١).

وفي رواية قال «فما راجعوها ولا سألوا عنها بعد خبر الرجل»(٢).

أين من ضَعُفت إراداتهم واضمحلت(٣) هممهم، وكانت النفس الأمارة بالسوء قائدةً لهم؟ لينظروا لمن كانت مجالسهم لا تحلو ولا تطيب إلا بشرب الخمر مُذهبة العقول وأمّ الخبائث. فإنهم لمجرّد الامر من رسول اللّه ﷺ كسروا أوعيتها وأوانيها وأراقوها في سكك المدينة حتى جرت فيها.

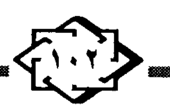
ذلك أن الإيمان إذا خالج القلوب واتخذها له مرتعاً سُهل على أصحابها اتباع الشرع القويم ونبذ ما ينافيه من العادات والتقاليد وإن كانت القلوب قد ألفتها.

فالخمر معلوم عند أهلها أن صاحبَها المداومَ على تعاطيها قد لا يستطيع تركها. ويصعب عليه الفكاك منها، وخاصة من كانت حالهم مُماثلةً لحال الصحابة رضي اللّه عنهم حين حرمت عليهم فإنهم كانوا معتادين على تناولها وتعاطيها. ومع ذلك فما كاد خبر تحريمها يأتيهم حتى نبذوها وأراقوها وهجروها إلى غير رجعة.

وبحق إن أولئك الصحب الكرام رضي اللّه عنهم وأرضاهم بلغوا في طاعة رسول اللّه ﷺ مبلغاً لن يبلغه غيرهم، وكان من حُسن مراعاتهم لأمره ﷺ ماتعجز عن مثله الأجيال.

(١، ٢) أخرجهما مسلم في صحيحه كتاب الأشربة باب تعريف الخمر ١٣/ ١٤٨-١٤٩ النووي.

(٣) اضمحل - الشيء أي ذهب. انظر مختار الصحاح.



موقفهم رضي الله عنهم يوم حنين :

عن كثير بن عباس بن عبدالمطلب قال. قال عباس : (شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين فلزمت أنا وابوسفيان بن الحارث بن عبدالمطلب رسول الله ﷺ فلم نفارقه ورسول الله ﷺ على بغلة له بيضاء أهداها له فروة ابن نفاثه الجذامي فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله ﷺ يركض بغلته قِبَلَ الكفار، قال عباس : وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله ﷺ أَكُفُّهَا إرادة أن تسرع وأبوسفيان آخذ بركاب رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : أي عباس ناد أصحاب السَّمُرَة فقال عباس وكان رجُلاً صيتاً فقلت بأعلى صوتي : أين أصحاب السُمره قال : فوالله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها، فقالوا : يالبيك يالبيك، قال : فاقتتلوا والكفار . . . . الحديث)[1].

وفي رواية لمحمد بن إسحاق عن العباس رضي الله عنه قال : إني لمعَ رسول الله ﷺ آخذ بِحَكَمة بغلته البيضاء، قد شجرتها بها، وكنت امرءاً جسيماً شديد الصوت، قال : رسول الله ﷺ يقول حين رأى مارأى من الناس : «إلى أين ايها الناس ؟» قال : فلم أر الناس يلوون على شيء، فقال : «ياعباس اصرخ : يامعشر الأنصار، يامعشر أصحاب السُمره» فأجابوا : لبيك لبيك. قال : فيذهب الرجلُ ليثني بعيره، فلا يقدرُ على ذلك، فيأخذ درعه فيقذفها في عنقه، ويأخذ سيفه وقوسه وترسه، ويقتحمُ عن بعيره، ويخلي سبيله، ويؤم الصوت حتى ينتهي إلى رسول الله ﷺ . . . . الحديث)[2].

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في الصحيح كتاب الجهاد والسير، غزوة حنين ١٢/ ١١٥ النووي.

(٢) أورده الحافظ ابن كثير في تفسيره ٢/ ٣٥٨، وابن القيم في زاد المعاد ٣/ ٤٧١، وقال الأرنؤوط سنده صحيح.



فكانت حالهم رضي الله عنهم كما قال الله : ﴿ رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه ﴾ [الأحزاب، آية : ٢٣] .

عوف بن مالك الأشجعي وأصحابه رضي الله عنهم

ومن ذلك ما أخرجه الإمام مسلم، عن عوف بن مالك الأشجعي قال : كنا عند رسول اللَّه ﷺ تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال «ألا تبايعون رسول اللَّه» وكُنا حديثَ عهد ببيعة فقلنا قد بايعناك يارسول اللَّه . ثم قال : «ألا تبايعون رسول اللَّه» فقلنا قد بايعناك يارسول اللَّه . ثم قال : «ألا تبايعون رسول اللَّه» قال فبسطنا أيدينا وقلنا قد بايعناك يارسول اللَّه فعلام نبايعك ؟ . قال : «علىٰ أن تعبدوا اللَّه ولا تشركوا به شيئاً والصلوات الخمس وتطيعوا» وأسرّ كلمةً خفية «ولا تسألوا الناس شيئاً» فلقد رأيت بعضَ أولئك النفر يسقط سوطُ أحدهِم فما يسأل أحداً يناوله إياه» (٢) .

رافع بن خديج وعمه رضي الله عنهما

وكانوا رضي اللَّه عنهم منقادين لأوامره ونواهيه حتىٰ لو عارض ذلك أمراً كان لهم فيه منفعة، ومن ذلك ما أخرج الإمام مسلم وغيره عن رافع بن خديج رضي اللَّه عنه قال : (كنا نحاقل الأرض علىٰ عهد رسول اللَّه ﷺ فنكريها بالثلث والربع والطعام المسمىٰ . فجاءنا ذات يوم رجل من عمومتي، فقال : نهانا رسول اللَّه ﷺ عن أمرٍ كان لنا نافعاً، وطواعيت اللَّه ورسوله أنفع لنا . نهانا أن نحاقل بالأرض فنكرها علىٰ الثلث والربع

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير ٢٢/ ٣٩٣، وفي الصغير ١/ ١٦٢ برقم ٤٠١، وقال في المجمع ٦/ ٨٦. إسناد حسن .

(٢) أخرجه مسلم في الصحيح كتاب الزكاة النهي عن المسألة ٧/ ١٣٢ النووي .

والطعام المسمى وأمر رب الأرض أن يَزْرَعها أو يزْرِعها وكره كراءها وما سوى ذلك) (١).

ولهم رضي اللَّه عنهم مواقف أظهروا فيها المتابعة لرسول اللَّه ﷺ وإن كانت بعض تلك المواقف لم يصرح فيها رسول اللَّه ﷺ لا بأمر ولا بنهي، فعن ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال : اتخذ النبي ﷺ خاتماً من ذهب فاتخذ الناس خواتيم من ذهب فقال النبي ﷺ : «إني اتخذت خاتماً من ذهب» فنبذه وقال «إني لن ألبسه أبداً» فنبذ الناس

---

(١) أخرجه مسلم في الصحيح كتاب البيوع باب كراء الأرض ١٠/ ٢٠٤ النووي.
وهذا النهي عن كراء الأرض محمول على أنه كان في أول ما قدم النبي ﷺ المدينة ثم أذن لهم في شيء معلوم.
ومحمول على أن النهي إذا كان مع الثلث وما تنبت الأرض الشمالية مثلاً أو قوله لك الثلث وما نبت على الجداول [أي السواقي] ومما يدل على صحة هذين الاحتمالين ما أخرجه مسلم عن حنظلة بن قيس الأنصاري قال سألتُ رافع بن خديج عن كراء الأرض بالذهب والورق فقال: لا بأس به إنما كان الناس يواجرون على عهد النبي ﷺ على الماذيانات وأقبال الجداول وأشياء من الزرع فيهلك هذا ويسلم هذا ويسلم هذا ويهلك هذا فلم يكن للناس كراء إلا هذا فلذلك زجر عنه فأما شيء معلوم مضمون فلا بأس به (١٠/ ٢٠٦) النووي.
وهذا من رافع بن خديج رضي الله عنه تفسير لما تقدم.
ومما يدل على جواز كراء الأرض فعله ﷺ لما فتح خيبر ففي صحيح مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما. أن النبي ﷺ عامل أهل خيبر بشطر ما يخرج منها من ثمر أو زرع. (١٠/ ٢٠٨) النووي. وهذا مستفاد من تعليقات سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز على صحيح مسلم وذلك في مغرب الأربعاء ٢٢/ ١١/ ١٤١٩هـ في جامع الأميرة سارة بمدينة الرياض.



خواتيمهم»[١].

واشتمل هذا المثال على تأسيهم رضي اللّه عنهم به ﷺ في الفعل والترك [٢].

ومن ذلك ماورد عن أبي سعيد رضي اللّه قال : بينما رسول اللّه ﷺ يصلي بأصحابه إذ خلع نعليه فوضعهما عن يساره فلما رأى ذلك القوم ألقوا نعالهم فلما قضى رسول اللّه ﷺ صلاته قال : «ما حملكم على إلقائكم نعالكم» ؟ قالوا : رأيناك ألقيت نعليك فألقينا نعالنا . . . . » [٣].

عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي اللّه عنهما . قال (هبطنا مع رسول اللّه ﷺ من ثنية أذخر . قال : فنظر إليّ رسولُ اللّه ﷺ فإذا علي ريطة مضرجة بعصفر . فقال : «ماهذه» فعرفت أن رسول اللّه ﷺ قد كرهها ، فأتيت أهلي وهم يسجرون تنورهم ، فلففتها ثم ألقيتها فيه ثم أتيت رسولَ اللّه ﷺ فقال : «مافعلت الريطة» قال : قلت : قد عرفت ماكرهت منها فأتيت أهلي وهم يسجرون تنورهم فألقيتها فيه . فقال النبي ﷺ «فهلا كسوتها بعض أهلك» [٤].

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في الصحيح كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة باب الاقتداء بأفعال النبي ﷺ ١٣/ ٢٨٨ فتح .

(٢) فتح الباري ١٣/ ٢٨٩ .

(٣) أخرجه أبو داود في السنة ٦٥٠ وأحمد في المسند ٣/ ٩٥ والحاكم في المستدرك ١/ ٢٦٠ والطيالسي في المسند برقم ٢١٥٤ وغيرهم .
وقال الألباني صحيح انظر الإرواء ١/ ٣١٤ رقم ٢٨٤

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢/ ١٩٦ وأبو داود في السنن برقم ٤٠٦٦ وابن ماجة في السنن برقم ٣٦٠٣ وقال الألباني «حسن» .



وعن ابن عباس رضي اللّه عنهما أن رسول اللّه ﷺ رأىٰ خاتماً من ذهب في يد رجل فنزعه فطرحه وقال : «يعمد أحدكم إلىٰ جمرة من نار فيجعلها في يده» . فقيل للرجل بعدما ذهب رسول اللّه ﷺ خذ خاتمك انتفع به، قال : لا واللّه لا آخذه أبداً وقد طرحه رسول اللّه ﷺ . . . »(١) .

وفيه بيان ماكان عليه الصحابة رضي اللّه عنهم من المبالغة في امتثال أمر رسول اللّه ﷺ واجتنابهم نهيه وعدم ترخصهم فيه بالتأويلات الضعيفة(٢) .

موقف أبي هريرة رضي الله عنه :

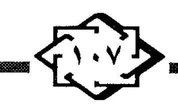
عن مجاهد عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه كان في الرباط، ففزعوا فخرجوا إلىٰ الساحل، ثم قيل : لا بأس، فانصرف الناس، وأبو هريرة واقف فمر به إنسان، فقال : ما يوقفك يا أبا هريرة؟ فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «موقف ساعة في سبيل الله خير من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود»(٣) .

وإليك مواقف من عُرف بالتحري لسنة المصطفىٰ ﷺ، ذلك عبداللّه بن عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه وعن أبيه، الذي اقتدىٰ برسول

(١) أخرجه الإمام مسلم في الصحيح كتاب اللباس تحريم الذهب على الرجال ١٤/ ٦٥-٦٦ النووي .

(٢) مستفاد من كلام النووي على صحيح مسلم ١٤/ ٦٥ .

(٣) أخرجه ابن حبان في موارد الظمآن رقم ١٥٨٣ ، وصححه الألباني وعزاه إلى عباس بن عبدالله الترقفي وللحافظ ابن عساكر في «أربعين الجهاد» حديث ١٨ ، وللبيهقي في السنن ٧/ ٢٧٠ ، وللبخاري في التاريخ الكبير .



اللَّه ﷺ في كل شأنه فعله وتركه وهاك مصداق ذلك. قالت عائشة زوج النبي ﷺ : (ما رأيت أحداً ألزم للأمر الأول من عبدالله بن عمر) (١).

فعن أنس بن سيرين قال : كنت مع ابن عمر بعرفات، فلما كان حين راح رحت معه حتى أتى الإمام، فصلى معه الأولى والعصر، ثم وقف معه وأنا وأصحابٌ لي، حتى أفاض الإمام، فأفضنا معه، حتى انتهى إلى المضيق دون المأزمين، فأناخ وأنخنا ونحن نحسب أنه يريد أن يصلي. فقال غلامه الذي معه يمسك راحلته، أنه ليس يريد الصلاة، ولكنه ذكر أن النبي ﷺ لما انتهى إلى هذا المكان قضى حاجته، فهو يحب أن يقضي حاجته» (٢).

وعن مجاهد قال (كنا مع ابن عمر رحمه اللَّه في سفر، فمر بمكان، فحاد عنه فسئل : لم فعلت ذلك؟ قال : رأيت رسول اللَّه ﷺ فعل هذا. ففعلت) (٣).

وعن عبيد بن جريح أنه قال : لعبداللَّه بن عمر يا أباعبدالرحمن رأيتك تصنع أربعا لم أر من أصحابك من يصنعها قال : ماهن يا ابن جريج؟ قال : رأيتك لا تمس من الأركان إلا اليمانيين، ورأيتك تلبس النعال السبتية، ورأيتك تصبغ بالصفرة، ورأيتك إذا كنت بمكة أهل الناس إذا رأوا الهلال

---

(١) اللالكائي ٧/ ١٣٣٦، فقرة ٢٥٤٧.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢/ ١٣١. وقال المنذري في الترغيب رواه أحمد ورواته محتج بهم. وقال الشيخ أحمد شاكر إسناده صحيح المسند رقم ٦١٥١. وقال الألباني صحيح. انظر صحيح الترغيب حديث رقم ٤٦.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٣٢ وقال المنذري رواه أحمد والبزار بإسناد جيد. وقال أحمد شاكر صحيح انظر المسند برقم ٤٨٧٠. وكذا قال الألباني انظر صحيح الترغيب رقم ٢٤.

ولم تهل أنت حتى يكون يوم التروية فقال عبداللَّه : أما الأركان فإني لم أر رسول اللَّه ﷺ يمس إلا اليمانيين، وأما النعال السبتية فإني رأيت رسول اللَّه يلبس النعال التي ليس فيها شعر ويتوضأ فيها، فأنا أحب أن ألبسها، وأما الصفرة فإني رأيت رسول اللَّه ﷺ يصبغ بها فأنا أحب أن أصبغ بها، وأما الإهلال فإني لم أر رسول اللَّه ﷺ يهل حتى تنبعث به ناقته (١) (٢) .

وعن أمية بن عبداللَّه بن خالد بن أسيد : أنه قال لعبداللَّه بن عمر : إنا نجد صلاة الحضر وصلاة الخوف في القرآن. ولا نجد صلاة السفر في القرآن ؟ فقال له ابن عمر : ابن أخي «إن اللَّه عزَّ وجلَّ بعث إلينا محمداً ﷺ ولا نعلم شيئاً، فإنما نفعل كما رأينا محمداً ﷺ يفعل» (٣) .

وعن نافع مولى ابن عمر : أن ابن عمر سمع صوت زمارة راع، فوضع إصبعيه في أذنيه وعدل راحلته عن الطريق، وهو يقول : يانافع أتسمع ؟ فأقول : نعم. فيمضي : حتى قلت : لا، فوضع يديه، وأعاد راحلته إلى الطريق، وقال : «رأيت رسول اللَّه ﷺ وسمع صوت زمارة

---

(١) أي حين تنبعث به ناقته إلى منى يوم التروية لا أنها حين تنبعث به من البيداء لأول إحرامه.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في الصحيح كتاب الوضوء باب غسل الرجلين في النعلين ولا يمسح على النعلين ١/ ٣٢١ ـ ٣٢٢ فتح حديث رقم ١٦٦ ، أخرجه الإمام مسلم في الصحيح كتاب الحج باب بيان أن الأفضل أن يحرم حين تنبعث به راحلته ٨/ ٩٣ النووي. ورواه أحمد في المسند ٢/ ٦٦ .

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٩٤ . وابن ماجه برقم ١٠٦٦ . والنسائي برقم ١٤٣٤ . والهيثمي في الموارد برقم ١٠١ . قال أحمد شاكر صحيح المسند برقم ٥٦٨٣ . وقال الألباني صحيح راجع صحيح ابن ماجه برقم ٨٧٤ .



راعٍ فصنع مثل هذا»[١].

وعن زيد بن أسلم قال: رأيت ابن عمر يصلي محلول أزراره فسألته عن ذلك فقال «رأيت رسول اللَّه ﷺ يفعله»[٢].

وإليك الطاعة منقطعة النظير التي لم تتجسد إلا في أولئك النفر الأخيار، فلقد كان لعبداللَّه بن رواحة رضي اللَّه عنه موقف أظهر فيه حقيقة الطاعة وسرعة الإنقياد.

ذلك ماروىٰ عبدالرحمن بن أبي ليلىٰ، أن عبداللَّه بن رواحة رضي اللَّه عنه أتي النبي ﷺ ذاتَ يوم وهو يخطبُ، فسمعه وهو يقول: «اجلسوا»، فجلس مكانَه خارجاً عن المسجد حتىٰ فرغ النبي ﷺ من خطبته فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال له: «زادك اللَّه حرصاً علىٰ طواعية اللَّه وطواعية رسوله»[٣].

وقد حصل هذا الموقف لعبداللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه.

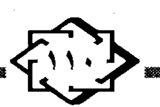
فعن عبداللَّه بن عباس رضي اللَّه عنهما قال: استوىٰ النبي ﷺ علىٰ

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢/ ٢٨ وأبو داود في السنن برقم ٤٩٢٤. وقال أحمد شاكر إسناده صحيح. المسند رقم ٤٩٦٥ ـ٤٥٣٥. وقال الألباني صحيح. انظر صحيح أبي داود رقم ٤١١٦.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ١/ ٢٥٠. وقال علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه كتاب الصلاة باب الرخصة في الصلاة محلول الازرار إذا كان علىٰ المصلي أكثر من ثوب واحد ١/ ٣٨٢ رقم ٧٧٩.
وقال الألباني حسن انظر صحيح الترغيب ح ٤٣.

(٣) ذكره صاحب الكنز ١٣/ ٤٥١ برقم ٣٧١٧٣. وعزاه لابن عساكر وقال الحافظ في الإصابة وأخرج البيهقي بسند صحيح فذكره.



المنبر يوم الجمعة فقال للناس «اجلسوا» فسمعه ابن مسعود وهو على باب المسجد فجلس، فقال له النبي ﷺ «تعال يا ابن مسعود» (١).

فلما روّضوا أنفسهم على طاعة اللّه عزَّ وجلَّ وطاعة رسوله ﷺ توافقت أعمالهم عند التوجيه النبوي الكريم.

حذيفة بن اليمان رضي الله عنه

وعن إبراهيم التميمي عن أبيه قال كنا عند حذيفة، فقال رجل لو أدركت رسول اللّه ﷺ قاتلت معه وأبليت، فقال حذيفة أنت كنت تفعل ذلك (٢) لقد رأيتنا مع رسول اللّه ﷺ ليلة الأحزاب، وأخذتْنا ريح شديدةٌ وقُر (٣). فقال رسول اللّه ﷺ «ألا رجل يأتيني بخبر القوم جعله اللّه معي يوم القيامة» فسكتنا فلم يجبه منا أحدٌ، ثم قال: «ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة» فسكتنا فلم يجبه منا أحدٌ ثم قال: «ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة» فسكتنا فلم يجبه منا أحدٌ، فقال «قم ياحذيفة فأتنا بخبر القوم» فلم أجد بداً إذ دعاني باسمي أن أقوم، قال: «اذهب فأتني بخبر القوم ولا تذعرهم عليّ» فلما وليت من عنده جعلتُ كأنّما

---

(١) أخرجه أبوداود في السنن كتاب الصلاة تفريع أبواب الجمعة باب الإمام يكلم الرجل في خطبته برقم ١٠٩١. وأخرجه الحاكم في المستدرك ١/ ٢٨٣ - ٢٨٦ وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي. وقال الألباني صحيح. انظر صحيح أبي داود رقم ٩٦٦.

(٢) معناه أن حذيفة رضي الله عنه فهم منه أنه لو أدرك النبي ﷺ لبالغ في نصرته ولزاد على الصحابة رضي الله عنهم. فأخبره بخبره في ليلة الأحزاب وقصد زجره عن ظنه أنه يفعل أكثر من فعل الصحابة.

(٣) قُر: بضم القاف وهو البرد.

أمشي في حَمّام حتى أتيتهم [١]، فرأيت أبا سفيان يصلي ظهره بالنار فوضعت سهما في كبد القوس فأردت أن أرميه فذكرت قول رسول الله ﷺ «ولا تذعرهم عليّ» ولو رميته لأصبته . . . . » [٢].

موقف كعب بن عمرو السلمي (أبو اليسر) رضي الله عنه :

عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت قال : خرجت أنا وأبي نطلب العلم في هذا الحي في الأنصار، قبل أن يهلكوا، فكان أول من لقينا أبو اليسر، صاحب النبي ﷺ ومعه غلام له، وعلى أبي اليسر بردة ومعافري، وعلى غلامه بردة ومعافري. فقلت له : يا عمي! لو أخذت بردة غلامك وأعطيته معافريك، أو أخذت معافريه وأعطيته بردتك كانت عليك حلة أو عليه حلة! فمسح رأسي وقال : اللهم بارك فيه. يا ابن أخي! بصر عيني هاتين، وسمع أذني هاتين، ووعاه قلبي - وأشار إلى نياط قلبه - النبي ﷺ يقول : (أطعموهم مما تأكلون، وأكسوهم مما تلبسون)، وكان أن أعطيه من متاع الدنيا أهون علي من أن يأخذ حسناتي يوم القيامة[٣].

المقداد بن الأسود رضي الله عنه :

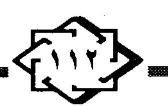
عن عبدالرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه قال : جلسنا إلى المقداد بن الأسود يوماً فمرَّ به رجل، فقال طوبى لهاتين العينين اللتين رأيا رسول الله

---

(١) يعني أنه لم يجد البرد الذي يجده الناس ولا من تلك الريح الشديدة شيئاً بل عافاه الله ببركة إجابته للنبي ﷺ، وذهابه فيما وجهه له. قاله شارح صحيح مسلم.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في الصحيح ١٢/ ١٤٥ النووي كتاب الجهاد عزوة الاحزاب.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم ١٨٧ ص٧٣، وأخرجه مسلم في صحيحه ١٨/ ١٣٣، حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر.



ﷺ لوددنا أنا رأينا مارأيت وشهدنا ماشهدت، فاستغضب المقداد، فجعلت أعجب لأنه ماقال إلاّ خيراً، ثم أقبل إليه فقال مايحمل الرجل على أن يتمنى محضراً غيبه الله عنه لا يدري لو شهده كيف يكون فيه، والله لقد حضر رسول الله ﷺ أقوام أكبهم الله على مناخرهم في جهنم لم يجيبوه ولم يصدقوه، أو لا تحمدون الله إذ أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعرفون إلا ربكم مصدقين بما جاء به نبيكم قد كفيتم البلاء بغيركم ؟ .

لقد بعث الله النبي ﷺ على أشر حالٍ بعث عليها نبياً من الأنبياء في فترة جاهلية، مايرون أن ديناً أفضل من عبادة الأوثان، فجاء بفرقان فرق به بين الحق والباطل وفرق بين الوالد وولده إن كان الرجل ليرى والده وولده وأخاه كافراً وقد فتح الله قفل قلبه للإيمان يعلم أنه إن هلك دخل النار، فلا تقر عينه وهو يعلم أن حبيبه في النار، وأنها التي قال الله تعالى : ﴿**وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ**﴾ [سورة الفرقان، آية : ٧٤](١) .

ماحصل منه في غزوة بدر من السابقة إلى الاستجابة لرسول الله ﷺ حينما استشار النبي ﷺ الصحابة لما علم بخروج قريش لنصرة أبي سفيان ومنع عيرهم .

فعن طارق بن شهاب قال سمعت ابن مسعود يقول : شهدت من المقداد بن الأسود مشهداً لأن أكون صاحبه أحب إلي مما عُدل به : أتى النبي ﷺ وهو يدعو على المشركين فقال : لا نقول كما قال قوم موسى ﴿**إذهب أنت وربك فقاتلا**﴾ ولكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٦/ ٣٢، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم ٨٧ ص٤٢، وقال الحافظ ابن كثير اسناده صحيح ولم يخرجوه . وقال الألباني صحيح .



فرأيت النبي ﷺ أشرق وجهه وسره، يعني قوله»(١).

عن أبي معمر قال: قام رجل يثني على أميرٍ من الأمراء فجعل المقداد يحثى عليه التراب وقال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نحثى في وجوه المداحين التراب(٢).

وعن أبي السائب مولى عائشة بنت عثمان، أن رجلاً من أصحاب رسول اللَّه ﷺ من بني عبد الأشهل، كان قد شهد أحداً قال: شهدنا أُحداً مع رسول اللَّه ﷺ أنا وأخي فرجعْنا جريحين، فلما أذن مؤذنُ رسولِ اللَّه ﷺ بالخروج في طلب العدو وقلت لأخي - أو قال لي -: أتفوتنا غزوة مع رسول اللَّه ﷺ؟ واللَّه مالنا من دابة نركبها، وما منا إلا جريح ثقيل، فخرجنا مع رسول اللَّه ﷺ، وكنت أيسر جراحاً منه. فكان إذا غلب حملته عقبة، حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون(٣).

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في ذكر غزوة أُحد ووصف حال الصحابة من أمر رسول الله ﷺ لهم بالمسير إلى عدوهم.

[ولما انقضت الحرب، انكفأ المشركون....... فلما [كانوا] في بعض الطريق، تلاوموا فيما بينهم، وقال بعضهم لبعض: لم تصنعُوا شيئاً، أصبتم شوكتهم وحدَّهم، ثم تركتموهم، وقد بقي منهم رؤوس يجمعون

---

(١) أخرجه الإمام البخاري كتاب المغاري باب قول الله ﴿إذ تستغيثون ربكم....﴾ ٧/ ٣٣٥.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في الصحيح باب الزهد باب النهي عن المدح.. ١٨/ ١٢٧-١٢٨ النووي. وقد أخرجه غيره.

(٣) ذكرها ابن هشام في السيرة ٣/ ٤٤ غزوة حمراء الأسد. وذكره ابن كثير في التفسير عن محمد بن إسحق وبسنده.



لكم، فارجعوا حتىٰ نستأصل شأفتهم، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فنادىٰ في الناس، وندبهم إلىٰ المسير إلىٰ لقاء عدوهم وقال: «لا يخرج معنا إلا من شهد القتال» . . . . فاستجاب له المسلمون علىٰ مابهم من القرح الشديد والخوف، وقالوا: سمعاً وطاعةً . . . . .] زاد المعاد ٣/ ٢٤١.

موقف جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه:

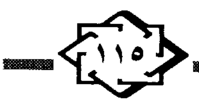
عن جرير بن عبدالله يقول: (بايعت النبي ﷺ علىٰ النصح لكل مسلم)[١]. [ومما يتعلق بحديث جرير منقبة ومكرمة لجرير رضي الله عنه رواها الحافظ أبو قاسم الطبراني بإسناده حاصلها. أن جريرا أمر مولاه أن يشتري له فرسا فأشترىٰ له فرساً بثلثمائة درهم وجاء به وبصاحبه لينقده الثمن فقال جرير لصاحب الفرس: فرسك خير من ثلثمائة درهم أتبيعه بأربعمائة درهم، قال: ذلك إليك يا أباعبدالله فقال: فرسك خير من ذلك أتبيعه بخمسمائة درهم، ثم لم يزل يزيده مائة فمائة وصاحبه يرضىٰ وجرير يقول: فرسك خير إلىٰ أن بلغ ثمانمائة درهم، فاشتراه بها فقيل له في ذلك، فقال: إني بايعت رسول الله ﷺ علىٰ النصح لكل مسلم][٢]. وكان رضي الله عنه إذا اشترىٰ شيئاً أو باعه، قال: لصاحبه إعلم أن ماأخذنا منك أحب إلينا مما أعطيناك، فاختر[٣].

---

(١) متفق عليه أخرجه البخاري ١/ ١٦٦ الفتح برقم ٥٧، ومسلم ١/ ٣٩ واللفظ له.

(٢) ذكرها النووي في شرحه علىٰ صحيح مسلم والحافظ في الفتح وسكت عليها. وهي في معجم الطبراني الكبير ٢/ ٣٣٤ برقم ٢٣٩٥، بنحوها. وقال محقق المعجم وهو حديث صحيح.

(٣) أخرجه ابوداود في السنن برقم ٤٩٤٥، والطبراني في المعجم الكبير ٢/ ٣٣٨-٣٣٩ برقم ٢٤١٤ وقال الألباني صحيح الإسناد.



موقف سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه :

عن سليمان بن أبي عبدالله، قال : رأيت سعد بن أبي وقاص أخذ رَجُلاً يصيدُ في حَرَم المدينة الذي حرم رسول الله ﷺ فسَلَبَه ثيابهُ، فجاء مواليه فكلموه فيه، فقال : إن رسول الله ﷺ، حرم هذا الحرم وقال : «من وجد احداً يصيد فيه فليسلبه» فلا أرد عليكم طعمة أطعمنيها رسول الله ﷺ، ولكن إن شئتم دفعت إليكم ثمنه. وفي رواية مسلم. فقال معاذ الله أن أرد شيئاً نفلنيه رسول ﷺ وأبىٰ أن يَرُد عليهم (١).

موقف أبي رافع مولى النبي ﷺ رضي الله عنه :

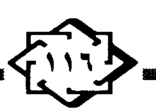
عن عمرو بن الشريد قال : «جاء المسور بن مخرمة فوضع يده علىٰ منكبي، فانطلقت معه إلىٰ سعد [بن أبي وقاص]، فقال أبو رافع للمسور : ألا تأمر هذا أن يشتري مني بيتي الذي في داري ؟ فقال [سعد]: لا أزيده علىٰ أربعمائة إما مقطعة أو منجمة، قال : [أبو رافع] : أعطيت خمسمائة نقداً فمنعته، ولولا أني سمعت النبي ﷺ يقول : «الجار أولىٰ بسقبه مابعتكه أو قال : ما أعطيتكه» (٢)، [فاعطاه إياه] (٣).

موقف المسور بن مخرمة رضي الله عنه :

عن عبيدالله بن أبي رافع عن المسور : «أنه بعث إليه حسن بن حسن يخطب ابنته، فقال له : قل له : فيلقاني في العتمة، قال : فلقيه، فحمد الله المسور، وأثنىٰ عليه، ثم قال : أما بعد، أيم الله، ما من نسب ولا سبب ولا

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ٩/ ١٣٨ النووي. وأبوداود في سننه برقم ٢٠٣٧.
(٢) أخرجه الإمام البخاري في الصحيح ١٢/ ٣٦١، الفتح برقم ٦٩٧٧.
(٣) ٤/ ٥١٠ الفتح برقم ٢٢٥٨.



صهر أحب إلي من نسبكم وصهركم، ولكن رسول الله ﷺ قال: (فاطمة بضعة مني، يقبضني ما يقبضها، ويبسطني ما يبسطها، وإن الأنساب يوم القيامة تنقطع غير نسبي وسببي وصهري) وعندك ابنتها ولو زوجتك لقبضها ذلك، فأنطلق عاذراً له»[1].

موقف أبي سعيد الخدري رضي الله عنه:

عن أبي صالح السمان قال: رأيت أبا سعيد الخدري في يوم جُمعة يُصلي إلىٰ شيء يسترهُ من الناس، فأراد شابٌ من بني أبي معيط أن يجتاز بين يديه فدفع أبو سعيدٍ في صدره، فنظر الشاب فلم يجد مساغاً إلا بين يديه، فعاد ليجتاز فدفعه أبو سعيدٍ أشد من الأُولىٰ، فنال من أبي سعيد. ثم دخل علىٰ مروان فشكا إليه مالقىٰ من أبي سعيدٍ ودخل أبو سعيد خلفه علىٰ مروان، فقال: مالك ولابن أخيك يا أباسعيد؟ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إذا صلىٰ أحدكم إلىٰ شيءٍ يستره من الناس فأراد أحد أن يجتاز بين يديه فليدفعه، فإن أبي فليقاتله فإنما هو شيطان»[2].

وفي رواية النسائي (فقال مروان لأبي سعيد: لم ضربت ابن أخيك؟ قال: ماضربته إنما ضربت الشيطان) ثم ذكر الحديث ٨/ ٦١، ٦٢ برقم ٤٨٦٢.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤/ ٣٢٣ـ ٣٣٢، وأخرجه الحاكم في المستدرك ٣/ ١٥٨ وقال: «صحيح الإسناد» ووافقه الذهبي. وقال الألباني رحمه الله عن إسناد أحمد الثاني «جيد» الصحيحة ٤/ ٦٥١.

(٢) متفق عليه البخاري في الصحيح كتاب الصلاة. باب يرد المصلي من مر بين يديه ١/ ٦٩٣ الفتح برقم ٥٠٩، ومسلم في الصحيح ٤/ ٢٢٣ـ ٢٢٤ النووي.



وعن هلال بن محصن قال: نزلت على أبي سعيد الخدري فضمني وإياه المجلس قال: فحدث أنه أصبح ذات يوم وقد عصب على بطنه حجرا من الجوع فقالت له امرأته أو أمه: ائت النبي ﷺ فاسأله فقد أتاه فلان فسأله فأعطاه وأتاه فلان فسأله فأعطاه. فقال: فقلت: حتى ألتمس شيئًا. قال: فألتمست فاتيته. قال حجاج[1]: فلم أجد شيئًا. فأتيته وهو يخطب فأدركت من قوله وهو يقول: من يستعف عنا أو يستغني أحب إلينا ممن يسألنا قال فرجعت فما سألته شيئًا. فما زال الله يرزقنا حتى ما أعلم في الأنصار أهل بيت أكثر أموالاً منا[2].

موقف أبي ذر رضي الله عنه:

عن أبي الأسود أن أباذر كان يسقي على حوض له فجاء قوم فقال أيكم يورد على أبي ذر ويحتسب شعرات من رأسه فقال رجل أنا فجاء الرجل فأورد عليه الحوض فدقه وكان أبوذر قائماً فجلس ثم اضطجع فقيل له يا أباذر لم جلست ثم أضطجعت قال. فقال: إن رسول الله ﷺ قال لنا: «إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع»[3].

---

(١) من رواة الحديث.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣/ ٤٤.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٥/ ١٥٢ وغيره. قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ٨/ ٧٠ـ ٧١، وقال الحافظ العراقي: ولأحمد بإسناد جيد فذكره. الإحياء ٣/ ١٦٧.



عن أبي أمامة قال: أقبل النبي ﷺ معه غلامان، فوهب أحدهما لعلي صلوات الله عليه، وقال: «لا تضربه، فإني نهيت عن ضرب أهل الصلاة، وإني رأيته يصلي منذ أقبلنا». وأعطى أبا ذر غلامًا، وقال: «استوصى به معروفًا» فأعتقه، فقال: «ما فعل؟» قال: أمرتني أن أستوصي به خيرًا، فأعتقه(١).

وعن المعرور قال: لقيتُ أبا ذر بالربذة وعليه حُلة وعلى غلامه حُله، فسألته عن ذلك فقال: إني ساببت رجلاً فعيرته بأمه، فقال لي النبي ﷺ: «يا أبا ذر، أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية. إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم. فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم(٢).

وعن عبدالرحمن بن شماسة المهري قال سمعت أبا ذر يقول: قال رسول الله ﷺ: «إنكم ستفتحون أرضًا يذكر فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيرًا فإن لهم ذمةً ورحمًا، فإذا رأيتم رجلين يقتتلان في موضع لبنة فأخرج منها» قال: فمر بربيعة وعبدالرحمن ابني شرحبيل بن حسنة يتنازعان على موضع لبنة فخرج منها (٣).

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في الأدب المفرد. باب العفو عن الخدام، برقم ١٦٣. قال الشيخ الألباني رحمه الله وهذا إسناد حسن الصحيحة ٥/ ٤٩٣ برقم ٢٣٧٩.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في الصحيح ١/ ١٠٦ برقم ٣٠. وقد أخرجه مسلم وغيره.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ١٦/ ٩٦-٩٧، واللفظ له. وأخرجه أحمد في مسنده ٥/ ١٧٣-١٧٤. وغيرهما.

موقف عقبة بن عامر رضي الله عنه :

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه، قال: قدت رسول الله ﷺ في نقب من تلك النقاب، فقال: «ألا تركب ياعقيب». فأجللت أن أركب مركب رسول الله ﷺ، ثم قال: «ألا تركب يا عقيب». فاشفقت أن تكون معصية، فنزل رسول الله ﷺ وركبت هنيهة، ثم نزلت، وركب رسول الله ﷺ ثم قال: «يا عقيب ألا أعلمك سورتين من خير سورتين قرأ بهما الناس» قلت: بلى يا رسول الله. فاقرأني: قل أعوذ بربِّ الفَلَقْ، وقُلْ أعوذُ بِرَبِّ النَّاسِ، ثم أقيمت الصلاة. فصلى وقرأ بهما. ثم مرَّ بي، فقال: «كيف رأيت يا عقيب، إقرأ بهما كلما نمت وقمت»(١).

وعن جابر بن سليم الهجيمي قال. انتهيتُ إلى رسول اللَّه ﷺ وهو محتب في بردة له كأنى أنظر إلى هدبها على قدميه، فقلت يارسول اللَّه أوصني قال: «اتق اللَّه ولا تحقرن من المعروف شيئاً، ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستسقى، وأن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط، وإياك وإسبال الإزار فإن إسبال الإزار من المخيلة، ولا يحبها اللَّه، وإن امرؤ شتمك وعيرك بأمر هو فيك فلا تعيره بأمر هو فيه، ودعه يكون وباله عليه، وأجره لك ولا تسبن شيئاً» قال فما سببت بعد قول رسول اللَّه ﷺ دابة ولا إنساناً»(٢).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤/ ١٤٤، وخرجه ابن خزيمة في صحيحه ١/ ٢٦٦، ٢٦٧. واللفظ له، وقال محققه: إسناده صحيح.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٥/ ٦٣ ـ ٦٤ والطيالسي في مسنده برقم ١٢٠٨. وغيرهما. قال الشيخ الألباني عند سند أحمد: وهذا إسناد صحيح رجاله رجال الشيخين غير عقيل بن طلحة، وهو ثقة. السلسلة الصحيحة ٣/ ٣٣٧ برقم ١٣٥٢.

موقف ثوبان رضي الله عنه :

وعن ثوبان رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ومن يتقبل لي بواحدة أتقبل له الجنة؟» قلت: أنا. قال: «لا تسأل الناس شيئًا».

قال: فكان ثوبان يقع سوطه، وهو راكب، فلا يقول لأحد: نولنيه حتىٰ ينزل فيأخذه. وفي رواية: «من يكفل أن لا يسأل الناس شيئًا..»[1].

وعن خالد بن عرفجة الأشجعي قال: كانوا يسيرون مع سالم بن عبيد الأشجعي، فعطس رجل، فقال السلام عليكم، فقال سالم: وعليك السلام، وعلىٰ أمك، ثم سار ساعة ثم قال للرجل لعلك كرهت ماقلت لك، قال: وددت أنك لم تكن ذكرت أمي بخير ولا بشر، فقال إنما أحدثك ماشهدت من رسول اللَّه ﷺ عطس رجل عنده، فقال السلام عليكم، فقال رسول اللَّه ﷺ «وعليك وعلىٰ أمك، إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله رب العالمين أو الحمد لله علىٰ كل حال، وليقل له أخوه: يرحمك اللَّه وليقل هو يغفر اللَّه لي ولكم»[2].

وعن أبي جمرة قال سمعت هلال المازني يقول: سمعت سويد بن مقرن يقول: أتيت رسول اللَّه ﷺ بجرة أنتبذ فيها فسألته عن ذلك فنهاني فكسرت الجرة[3].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٥/ ٢٧٥، وأبو داود وابن ماجه وقال المنذري إسناده صحيح وصححه العلامة الألباني رحمه الله صحيح الترغيب والترهيب.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٦/ ٧-٨، وأخرجه الطيالسي في المسند برقم ١٢٠٣، والطبراني في المعجم الكبير ٧/ ٥٨.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٤٤٧. والطيالسي في المسند برقم ١٢٦٤.

وقال معقل بن يسار المزني رضي اللَّه عنه : كانت لي أخت تخطب إلي وأمنعها الناس ، حتىٰ أتاني ابن عم لي فخطبها إلي فزوجتها إليه فاصطحبا ماشاء اللَّه أن يصطحبا ، ثم طلقها طلاقاً له عليها رجعة ، ثم تركها حتىٰ انقضت عدتها ثم جاءني يخطبها مع الخطاب ، فقلت يالكع خطبت إلي أختي فمنعتها الناس وخطبتها إلي فآثرتك بها وأنكحتك فطلقتها ، ثم لم تخطبها حتىٰ انقضت عدتها ، فلما جاءني الخطاب يخطبونها جئت تخطبها لا واللَّه الذي لا إله إلا هو لا أنكحكها أبداً ، قال : فقال معقل ففي نزلت هذه الآية : ﴿ **وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف** ﴾ قال وعلم اللَّه عزَّ وجلَّ حاجتها إليه وحاجته إليها فنزلت هذه الآية فقلت سمعاً وطاعة فزوجتها إياه وكفرت يميني [(١)] .

وإن المسلم قد يترك شيئاً من أوامر رسول اللَّه ﷺ أو يرتكب شيئاً من نواهيه ، وذلك لشيء في نفسه وغالب ذلك مسايرة أهل زمانه والحياء منهم ، الذين تقلبت عندهم موازين الأمور . فأصبحت السنة عندهم بدعة والبدعة عندهم قربة ، أو لظنه أنه يعذر في تلك المخالفة إما لمرض أو غيره .

ولكن أهل ذلك العصر وأهل ذلك القرن الذي هو خير القرون فإنهم لا يقدمون شيئاً علىٰ أمره ﷺ .

فما أمر به فأمرهم لأمره تبع ، وشاهد ذلك ما أخرج الإمام أحمد عن يعقوب بن عاصم أنه سمع الشريد يقول : «أبصر رسول اللَّه ﷺ رجلاً يجر إزاره فأسرع إليه أو هرول ، فقال : «ارفع إزارك واتق الله» قال : إني أحنف

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح ٩/ ٣٩٢ ـ ٣٩٣ فتح برقم ٥٣٣٠ ـ ٥٣٣١ . وأخرجه الطيالسي واللفظ له برقم ٩٣٠ . وغيرهما .



تصطك ركبتاي. قال: «أرفع إزارك فإن كل خلق اللَّه عزَّ وجلَّ حسن» فما رؤي ذلك الرجل بعد إلا إزاره يصيب أنصاف ساقيه أو إلىٰ أنصاف ساقيه[(١)].

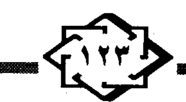
وهذا الصحابي الجليل رضي اللَّه عنه وأرضاه مع أن الحال ماذكر من كونه أحنف. لم يعذره النبي ﷺ في إسبال إزاره بل أمره برفعه. وقد استجاب لذلك الأمر ولم يعد للعذر محلاً ومابقي إلا الإنقياد والإذعان وقد حصل.

فهل لمن أسبل إزاره وخالف أمر رسول اللَّه ﷺ من عذر ؟!.

وخاتمة هذه المواقف الجليلة، موقف عثمان بن مظعون رضي الله عنه، ذلك ما أخبرت به أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: (دَخَلَتْ علي خويلة بنت حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص السلمية، وكانت عند عثمان ابن مظعون، قالت: فرأىٰ رسول الله ﷺ بذاذة هيئتها فقال لي: يا عائشة ما أبذ هيئة خويلة! قالت: يا رسول الله إمرأة لها زوج يصوم النهار، ويقوم الليل، فهي كمن لا زوج لها، فتركت نفسها، وأضاعتها، قالت: فبعث رسول الله ﷺ إلىٰ عثمان بن مظعون فجاءه فقال: يا عثمان أرغبة عن سنتي؟! فقال: لا والله يا رسول الله، ولكن سنتك أطلب، قال: فإني أنام وأصلي، وأصوم وأفطر، وأنكح النساء، فاتق الله يا عثمان، فإن لأهلك عليك حقًا، وإن لضيفك عليك حقًا، وإن لنفسك عليك حقًا، فصم

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٤/ ٤٩٠. والطبراني في المعجم الكبير ٧/ ٣١٥-٣١٦ وقال في المجمع ٥/ ١٢٤ ورجال أحمد رجال الصحيح. قال الألباني واسناده صحيح رجاله كلهم ثقات. السلسلة الصحيحة ٣/ ٤٢٧ برقم ١٤٤١.



وأفطر، وصل ونم)[١] . (فأتتهم المرأة بعد ذلك كأنها عروس، فقيل لها : مه؟ قالت أصابنا ما أصاب الناس)[٢] .

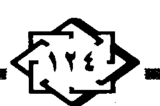
وهذا يعني أن عثمان رضي الله عنه استجاب لتوجيه الرسول ﷺ، وعمل بأمره، وترك ما كان يحب من نفسه من التبتل والربهانية لله .

وكذلك تكون الطاعة أن يترك المرء رأيه لأمر نبيه ﷺ .

* * *

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٦/ ٢٦٨ . واللفظ له، وأخرجه أبو داود في سننه برقم ١٣٦٩ ، قال الشيخ الألباني : هذا إسناد جيد. الإرواء ٧/ ٧٩ .

(٢) أخرجه ابن حبان برقم ١٢٨٧ . موارد الظمآن .



مواقف الصحابيات رضي الله عنهن من أوامر الشارع ونواهيه

وكل ماتقدم من مواقف الصحابة رضي اللَّه عنهم من أعظم الدلائل على صدق أولئك الرجال في محبتهم لله ولرسوله ﷺ وعلى سرعة انقيادهم واستجابتهم لأوامره والانتهاء عن نواهيه، وأن تلك المواقف لم تكن قاصرة على الرجال فقط، بل إن للنساء في ذلك الزمن مواقفَ دلت منهن على مبادرتهن للالتزام بأمر اللَّه ورسوله ﷺ ومن ذلك :

مواقف أمهات المؤمنين أم حبيبة بنت أبي سفيان وزينب ابنة جحش رضي الله عنهما .

عن حميد بن نافع عن زينب ابنة أبي سلمة أنها أخبرته هذه الأحاديث الثلاثة قالت زينب : دخلتُ على أم حبيبة زوج النبي ﷺ حين تُوفي أبوها أبو سفيان بن حرب فدعت أمُّ حبيبة بطيب فيه صفرة ـ خلوق أو غيره ـ فدهنت منه جاري ثم مست بعارضيها ثم قالت : والله مالي بالطيب من حاجة، غير أني سمعت رسول الله ﷺ يقول : (لا يحل لامرأةٍ تُومن بالله واليوم الآخر أن تُحِدَّ علي ميت فوق ثلاث ليالٍ، إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا) .

قال زينت : فدخلتُ على زينتب ابنة جحش حين تُوفي أخوها، فدعت بطيب فمست منه ثم قال : أما والله مالي بالطيب من حاجة، غير أني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول على المنبر : (لا يحلُ لامرأة تؤمن بالله واليوم

الآخر أن تُحد فوق ثلاث ليالٍ، إلا على زوج أربعة أشهرٍ وعشرا).

قالت زينب: وسمعت أم سلمة تقول: . . . . [١].

ولزينب بنت جحش الأسدية زوج النبي ﷺ - رضي الله عنها - موقف آخر سبق ذكره عند سبب نزول قوله تعالى: ﴿**وما كان لمؤمن ولا مؤمنة**﴾[٢].

عن ابن عباس رضي اللّه عنهما. قال: شهدت صلاة الفطر مع النبي ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان رضي اللّه عنهم يصلونها قبل الخطبة، ثم يخطب بعد، خرج النبي ﷺ كأني أنظر إليه حين يجلس بيده، ثم أقبل يشقهم حتى جاء النساء معه بلال، فقال: ﴿**يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك**﴾ الآية. ثم قال حين فرغ منها: «آنتن على ذلك؟ قالت امرأة واحدة منهن لم يجبه غيرها: نعم، قال فتصدقن، فبسط بلال ثوبه ثم قال: هلم لكن فداء أبي وأمي، فيلقين الفتخ والخواتيم في ثوب بلال» [٣].

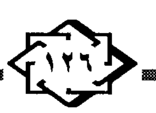
وعن جابر بن عبداللّه رضي اللّه عنهما. قال: «ثم مال ومضى إلى النساء، ومعه بلال، فأمرهن بتقوى اللّه، ووعظهن وذكرهن، وحمد اللّه وأثنى عليه ثم حثهن على طاعته، ثم قال: «تصدقن، فإن أكثركن حطب جهنم». فقالت امرأة من سفلة النساء سفعاء الخدين: بم يارسولَ اللّه؟ قال «تكثرن الشكاة وتكفرن العشير، فجعلن ينزعن قلائدهن وأقراطهن

---

(١) متفق عليه أخرجه الإمام البخاري في الصحيح كتاب الطلاق ٩/ ٣٩٤ فتح برقم ٥٣٣٤-٥٣٣٥، والإمام مسلم في صحيحه كتاب الطلاق ١٠/ ١١١-١١٢ النووي.

(٢) انظر ص: ٢٩.

(٣) متفق عليه. أخرجه البخاري في الصحيح كتاب العيدين باب موعظة الإمام النساء يوم العيد ٢/ ٥٤٠ فتح برقم ٩٧٩.
ومسلم في الصحيح كتاب صلاة العيدين ٦/ ١٧١ النووي.



وخواتيمهن يقذفنه في ثوب بلال يتصدقن به»[١].

وعن أم المؤمنين عائشة رضي اللَّه عنها قالت: (يرحم اللَّه نساء المهاجرات الأول، لما أنزل اللَّه «وليضربن بخمرهن علىٰ جيوبهن» شققن مروطهن فاختمرن بها)[٢].

وعنها رضي اللَّه عنها كانت تقول. لما نزلت هذه الآية: ﴿ **وليضربن بخمرهن على جيوبهن** ﴾ أخذن أزرهن فشققنها من قبل الحواشي فاختمرن بها[٣].

وعن صفية بنت شيبة قالت: بينا نحن عند عائشة قالت، فذكرن نساء قريش وفضلهن، فقالت عائشة رضي اللَّه عنها: إن لنساء قريش لفضلاً، وإني واللَّه مارأيت أفضل من نساء الأنصار أشد تصديقاً لكتاب اللَّه ولا إيماناً بالتنزيل، لقد أنزلت سورة النور ﴿ **وليضربن بخمرهن على جيوبهن** ﴾. انقلب رجالهن إليهن يتلون عليهن ما أنزل اللَّه إليهم فيها، ويتلو الرجل علىٰ امرأته وابنته وأخته وعلىٰ كل ذي قرابته، فما منهن امراة إلا قامت إلىٰ مرطها المرحل فاعتجرت به تصديقاً وإيماناً بما أنزل اللَّه من كتابه، فأصبحن وراء رسولِ اللَّه ﷺ معتجرات كان علىٰ رؤسهن الغربان»[٤].

وعن أبي أسيد الأنصاري: عن أبيه أنه سمع رسولَ اللَّه ﷺ يقول وهو خارج من المسجد، فاختلط الرجال مع النساء في الطريق، فقال رسولُ ﷺ:

---

(١) أخرجه النسائي في سُننه كتاب العيدين.

(٢، ٣) أخرجهما البخاري في الصحيح كتاب التفسير باب تفسير سورة النور ٨/ ٣٤٧ فتح برقم ٤٧٥٨ ـ ٤٧٥٩.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم كما ذكر ذلك الحافظ ابن كثير في التفسير. وابن حجر في الفتح ٨/ ٣٤٨.

«استأخرن، فإنه ليس لكُنّ أن تحققن الطريق[1]. عليكن بحافات الطريق». فكانت المرأة تلتصق بالجدار حتى إن ثوبها، ليتعلق الجدار من لصوقها به[2].

وعن الزبير بن العوام رضي اللّه عنه قال: إنه لما كان يوم أُحد أقبلت امرأة تسعى، حتى إذا كادت أن تشرف على القتلى، قال: فكره النبي ﷺ أن تراهم، فقال: «المرأةَ المرأةَ» قال الزبير: فتوسمت أنها أمي صفية، قال: فخرجت أسعى إليها، فأدركتها قبل أن تنتهي إلى القتلى، قال، فَلَدَمت في صدري، وكانت امرأة جَلَدةً، قالت: إليك لا أرض لك، قال: فقلت: إن رسولَ اللّه ﷺ عزم عليك، قال: «فوقفت، واخرجت ثوبين معها، فقالت: هذان ثوبان جئت بهما لأخي حمزة فقد بلغني مقتله، فكفنوه فيهما، ....»[3].

---

(١) أي: ليس لكُنّ أن تمشين وسط الطريق، وقد جاء ذلك صريحًا في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (ليس للنساء وسط الطريق) قال الألباني هذا سند حسن بما بعده. انظر السلسلة الصحيحة ٢/ ٥١١ برقم ٨٥٦.

(٢) أخرجه أبوداود في سُننه كتاب الأدب باب في مشي النساء مع الرجال في الطريق حديث رقم ٥٢٧٢. وللهيثمي في موارد الضمان نحوه برقم ١٩٦٩.
قال الألباني وبالجملة فالحديث حسن. الصحيحة ٢/ ٥٣٧.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المُسند ١/ ١٦٥. والبيهقي في السُنن الكبرى ٣/ ٤٠١. قال الهيثمي في المجمع ٦/ ١١٨. رواه أحمد وأبو يعلى والبزّار، وفيه عبدالرحمن بن أبي الزناد. وهو ضعيف. وقد وثق. قال أحمد شاكر إسناده صحيح المسند برقم ١٤١٨.
وقال الألباني. عن سند أحمد حسن وعن البيهقي صحيح. أنظر احكام الجنائز وبدعها صحيفة ٨١.

وعن عبدالله بن سويد الأنصاري عن عمته أم حميد امرأة أبي حميد الساعدي رضي الله عنهم، أنها جاءت النبي ﷺ فقالت يارسولَ اللّه إني أحب الصلاة معك. قال: «قد علمت أنك تحبين الصلاة معي، وصلاتكِ في بيتكِ خيرٌ لكِ من صلاتك في حجرتكِ وصلاتك في حجرتك خير من صلاتكِ في داركِ وصلاتكِ في داركِ خير لك من صلاتك في مسجد قومكِ وصلاتك في مسجد قومكِ خير لك من صلاتك في مسجدي» قال فأمرت فبني لها مسجد في أقصى شيء من بيتها وأظلمه فكانت تصلي فيه حتى لقيت اللّه عزَّ وجلَّ[1].

وعن أنس بن مالك رضي اللّه عنه. قال: خطب النبي ﷺ على جُليبيب امرأةً من الأنصار إلى أبيها، فقال: حتى أستأمر أُمها فقال النبي ﷺ: «فنعم إذاً» فانطلق الرجل إلى امرأته فذكر ذلك لها، فقالت لاهَا اللّه إذاً ماوجد رسولُ اللّه ﷺ إلا جُليبيباً لقد منعناها من فلانٍ وفلانٍ، قال: والجارية في سترها تسمع، فانطلق الرجل يريد أن يخبر النبي ﷺ بذلك، فقالت الجارية: أتريدون أن تردوا على النبي ﷺ أمرهُ، إن كان قد رضيه لكم فانكحوه، فكأنها جلت عن أبويها، وقالا: صدقت، فذهب أبوها إلى النبي ﷺ، فقال: (إن كنت قد رضيته فقد رضيناهُ)، قال: «فإني قد

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المُسند ٦/ ٣٧١ وابن خزيمة في صحيحه ٣/ ٩٥ حديث رقم ١٦٨٩. وقال الألباني في تعليقه على صحيح ابن خزيمة حديث حسن. قال الهيثمي، مجمع الزوائد ٢/ ٣٣-٣٤ رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير عبدالله ابن سويد الانصاري وثقه ابن حبان.



رضيت» قال : فزوجها إياه ثم فزع أهل المدينة فركب جُليبيب فوجدوهُ قد قُتل وحوله ناس من المشركين قد قتلهم، قال أنس فلقد رأيتها وإنها لمن أنفق بيتٍ بالمدينة (١).

الجارية الأنصارية رضي الله عنها :

عن بكر بن عبدالله المزني عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال : أتيت النبي ﷺ فذكرت له امرأة خطبتها، فقال : (اذهب فانظر إليها فإنه أجدران يؤدم بينكما) قال : فاتيت امرأة من الأنصار فخطبتها إلىٰ أبويها وأخبرتهما بقول رسول الله ﷺ فكأنهما كرها ذلك، قال : فسمعت ذلك المرأة وهي في خدرها فقالت إن كان رسول الله ﷺ أمرك أن تنظر فانظروا إلا فإني أنشدك ـ كأنها عظمت ذلك عليه ـ قال فنظرت إليها فتزوجتها فذكر من موافقتها).

وفي رواية : (فما وقعت عندي امرأة بمنزلتها، ولقد تزوجت سبعين، أو بضعاً وسبعين امرأة) (٢).

بطانة الخير امرأة أبي الهيثم رضي الله عنها :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لأبي الهيثم : «هل لك خادم»؟ قال : لا، قال : فإذا أتانا سبي فأتنا، فأتي النبي ﷺ برأسين ليس معهما ثالث، فأتاه أبو الهيثم، قال النبي ﷺ : «اختر منهما»، قال : يا رسول الله ﷺ اختر لي، فقال النبي ﷺ : «إن المستشار مؤتمن، خذ هذا،

---

(١) أخرجه أحمد في المُسند ٣/ ١٣٦ . وعبدالرزاق في المصنف برقم ١٠٣٣٣ وعبد بن حُميد في مسنده برقم ١٢٤٥ .

(٢) أخرجه في المسند أحمد ٤/ ٢٤٤ـ ٢٤٥ وغيره راجع السلسلة الصحيحة ١/ ١٥٠ رقم٩٦ .

فإني رأيتهُ يصلي، واستوصىٰ به خيراً» .

فقالت امرأتُه: ما أنت ببالغ ما قال فيه النبي ﷺ إلا أن تعتقه، قال: فهو عتيق، فقال النبي ﷺ: «إن الله لم يبعث نبيًا ولا خليفة، إلا وله بطانتان، بطانة تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر، وبطانة لا تالوه خبالا، ومن يوق بطانة السوء فقد وقي» (١) .

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (أن امرأة أتت النبي ﷺ ومعها ابنة لها وفي يد ابنتها مسكتان غليظتان من ذهب، فقال لها: (أتعطين زكاة هذا)؟ قالت: لا. قال: (أيسرك أن يسورك الله بهما يوم القيامة سوارين من نار)؟ فخلعتهما فألقتهما إلى النبي ﷺ وقالت: هما لله ولرسوله)(٢) .

* * *

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد رقم ٢٥٦ ص٩٦ وغير. قال الألباني صحيح .

(٢) أخرجه أبو داود والنسائي، وقال العلامة ابن باز رحمه الله: والحديث صحيح وإسناده جيد، كما نبه عليه الحافظ في البلوغ. فتاوىٰ ابن باز ٦/ ٣٥٠ .

موقف السلف ممن يعارض الكتاب والسنة بآراء الرجال

ولقد كان السلف الصالح من الصحابة والتابعين رضي اللّه عنهم أجمعين يشتد عليهم معارضة النصوص بآراء الرجال. ولا يقرون على ذلك أحداً من الناس كائناً من كان.

وقد تصل بهم الحال لمقاطعة أولئك المعارضين وهجرانهم، والامتناع عن كلامهم ومفارقتهم.

فعن سالم بن عبداللّه أن عبداللّه بن عمر رضي اللّه عنهما. قال سمعت رسولَ اللّه ﷺ يقول: «لا تمنعوا نساءكم المساجد إذا استأذنكم إليها» قال: فقال بلال بن عبداللّه: واللّه لنمنعهن، قال: فأقبل عليه عبداللّه فسبه سباً سيئاً ماسمعته سبه مثله قط، وقال: أخبرك عن رسولِ اللّه ﷺ، وتقول واللّه لنمنعهن[1].

وعن قتادة، قال: (كنا عند عمران بن حصين في رهط منا وفينا بشير بن كعب فحدثَنا عمران يومئذ قال: قال رسولُ اللّه ﷺ: «الحياء خير كله» قال: أو قال «الحياء كلّهُ خير». فقال بشير بن كعب: إنا لنجدُ في بعض الكتب أو الحكمة أن منه سكينةً ووقاراً لله ومنه ضعف، قال: فغضب عمران حتى احمرتا عيناه. وقال: ألا أراني أحدثك عن رسولِ اللّه

---

(١) أخرجه مسلم في الصحيح كتاب الصلاة. باب خروج النساء إلى المساجد ٤/ ٦١ النووي.

ﷺ وتعارض فيه : قال. فأعاد عمران الحديث قال : فأعاد بشير، فغضب عمران قال : فمازلنا نقول فيه إنه منا يا أبا نجيد، إنه لا بأس به)(١). متفق عليه واللفظ لمسلم.

قال النووي : وأما إنكار عمران رضي اللَّه عنه فلكونه قال : منه ضعف، بعد سماعه قول النبي ﷺ أنه خير كله، ومعنى (تُعارض) تأتي بكلام في مقابلته وتعترض بما يخالفه. وقولهم إنّه منّا لا بأس به، معناه ليس هو ممن يتهم بنفاق أو زندقة أو بدعة أو غيرها مما يخالف به أهل الاستقامة. واللَّه أعلم.

وعن سعيد بن جبير، أن قريباً لعبداللَّه بن مُغفل رضي اللَّه عنه خذف، قال فنهاه وقال : إن رسولَ اللَّه ﷺ «نهى عن الخذف وقال : إنها لا تصيد صيداً ولا تنكأُ عدواً ولكنها تكسر السن وتفقأ العين» قال : فعاد، فقال أحدثك أن رسولَ اللَّه ﷺ نهى عنه ثم تخذف، لا أكلمك أبداً (٢).

وللدارمي «واللَّه . . . لا أشهد لك جنازة، ولا أعودك في مرض ولا أكلمك أبداً» (٣).

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الأدب باب الحياء ١٠/ ٥٣٧ فتح حديث رقم ٦١١٧.
ومسلم في الصحيح كتاب الإيمان في باب الحياء شعبة من الإيمان ٢/ ٧ النووي.

(٢) متفق عليه أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الذبائح باب الخذف ٩/ ٥٢٢ فتح حديث رقم ٥٤٧٩.
ومسلم في الصحيح كتاب الصيد باب إباحة ما يستفاد به على الإصطياد وكراهية الخذف ١٣/ ١٠٦ النووي.

(٣) سُنن الدارمي ١/ ١٢٧ حديث رقم ٤٣٨.



وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال : تمتع النبي ﷺ. فقال عروة بن الزبير : نهى أبوبكر وعمر عن المتعة ، فقال ابن عباس : مايقول عُرية ؟ قال : يقول نهى أبوبكر وعمر عن المتعة ، فقال ابن عباس : أُراهم سيهلكون ، أقول : قال النبي ﷺ، ويقول : نهى أبو بكر وعمر » [١].

قال العلامة ابن باز رحمه الله : فإذا كان من خالف السنة لقول أبي بكر وعمر تخشى عليه العقوبة فكيف بحال من خالفها لقول من دونهما ، أو لمجرد رأيه واجتهاده؟ [٢].

وعن ابن شهاب أن سالم بن عبداللَّه حدثه «أنه سمع رجلاً من أهل الشام وهو يسأل عبداللَّه بن عمر عن التمتع بالعمرة إلى الحج ، فقال عبداللَّه بن عمر : هي حلال ، فقال الشامي : إن أباك قد نهى عنها ، فقال عبداللَّه بن عمر . أرأيت إن كان أبي نهي عنها وصنعها رسولُ اللَّه ﷺ، أمُر أبي يُتبع ، أم أمر رسولِ اللَّه ﷺ ؟ [٣].

وفي رواية أنه قال : (ويلكم ألا تتقون اللَّه ؟ إن كان عمر نهى عن ذلك فيبتغي فيه الخير يلتمس به تمام العمرة ، فَلِمَ تحرمون ذلك وقد أحله اللَّه وعمل به رسولُ اللَّه ﷺ ؟! أفرسولُ اللَّه ﷺ أحقُّ أن تتبعوا سُنته أم سنة عمر؟ . . . . » [٤].

---

(١) أخرجه أحمد في المُسند ١/ ٣٣٧. وقال أحمد شاكر إسناده صحيح حديث رقم ٣١٢١ .

(٢) الفتاوي ١/ ٢٢٣ .

(٣) أخرجه الترمذي في السُنن كتاب الحج باب ماجاء في التمتع .

(٤) أخرجه أحمد في المُسند ٢/ ٩٥ وقال الشيخ أحمد شاكر إسناده صحيح حديث رقم ٥٧٠٠ .



وعن سالم بن عبدالله عن أبيه، قال: قال النبي ﷺ: «إذا استيقظ أحدكم من منامه، فلا يدخل يده في الإناء حتى يغسلها ثلاث مرات، فإنه لا يدري أين باتت يده، أو أين طافت يده». فقال له رجل: أرأيت إن كان حوضًا، قال: فحصبه ابن عمر، وقال: أخبرك عن رسول الله ﷺ، وتقول: أرأيت إن كان حوضًا! (١).

وعن أبي المخارق قال: ذكر عبادة بن الصامت أن النبي ﷺ نهى عن درهمين بدرهم، فقال فلان: ما أرى بهذا بأساً يداً بيد. فقال عبادة: أقول: قال النبي ﷺ، وتقول لا أرى به بأساً؟!! واللَّه لا يظلني وإياك سقفٌ أبداً» (٢).

وعن قتادة قال: حدث ابن سيرين رجلاً بحديث عن النبي ﷺ فقال رجل: قال فلان كذا وكذا، فقال ابن سيرين: أحدثُك عن النبي ﷺ وتقول: قال فلان وفلان كذا وكذا؟! لا أكلمك أبداً» (٣).

وعن الزبير بن بكار قال: حدثني سفيانُ بن عُيينة قال: «سمعت مالك بن أنس وأتاه رجل فقال: يا أباعبداللَّه من أين أُحْرِم؟ قال: من ذي الحليفة، من حيث أحرم رسولُ اللَّه ﷺ، فقال: إني أريد أن أحرم من

---

(١) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه ١/ ٧٥ تحت باب: كراهة معارضة خبر النبي ﷺ بالقياس والرأي. والدليل على أن أمر النبي ﷺ يجب قبوله إذا علم المرء به، وإن لم يدرك ذلك عقله ورأيه.

(٢) أخرجه الدارمي في السُنن ١/ ١٢٩ حديث رقم ٤٤٣. ولابن ماجة نحوه باب اتباع سُنة الرسول ﷺ حديث رقم ١٨ وقال الألباني صحيح.

(٣) أخرجه الدارمي في السُنن ١/ ١٢٨ حديث رقم ٤٤١.

المسجد من عند القبر، قال: لا تفعل فإني أخشى عليك الفتنة، فقال وأي فتنة في هذه؟ إنما هي أميال أزيدها! قال: وأي فتنة أعظمُ من أن ترى أنك سبقت إلى فضيلة قصر عنها رسولُ اللَّه ﷺ؟ إني سمعت اللَّه يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة النور، أية: ٦٣] (١).

قال عمرو بن محمد: كان أبو معاوية الطرير يُحدِّث هارون الرشيد، فحدثه بحديث أبي هريرة: «احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى». فقال علي بن جعفر: كيف هذا وبين آدم وموسى مابينهما؟! قال: فوثب به هارون وقال: يحدِّثك عن رسول الله ﷺ وتُعارِضُهُ بكيف! قال: فمازال يقول حتى سكت عنه (٢).

قال الصابوني رحمه الله: (هكذا ينبغي للمرء أن يُعظِّم أخبار رسول الله ﷺ ويقابلها بالقبول والتسليم والتصديق، ويُنكِرَ أشدَّ الإنكارِ على من يسلك فيها غير هذا الطريق الذي سلكه هارون الرشيد رحمه الله مع من اعترض على الخبر الصحيح الذي سمعه بكيف؟! على طريق الإنكار له، والابتعاد عنه، ولم يَتَلَقَّهُ بالقبول كما يجب أن يُتَلَقَّى جميعُ مايرد من الرسول (٣).

---

(١) ذكره الألباني في كتاب سلسلة الأحاديث الضعيفة ١/ ٣٧٧. وقال وما أحسن ماذكر الشاطبي رحمه الله في الإعتصام ١/ ١٦٧. ومن قبله الهروي في ذم الكلام ٣/ ٥٤/ ١. عن الزبير بن بكار.

(٢) أخرجه الإمام الصابوني في عقيدة السلف وأصحاب الحديث ص ٩٧.

(٣) عقيدة السلف ص ٩٧ ـ ٩٨.

فكانت نصوص رسولِ اللَّه ﷺ أجلَّ في صدورهم وأعظمَ في قلوبهم من أن يعارضوها بقول أحد من الناس، ولا تثبت قدمُ أحدٍ على الإيمان إلا على ذلك [١].

* * *

(١) قاله شمس الدين ابن القيم رحمه الله مختصر الصواعق صحيفة ١٤٦.

معاجلة الله بالعقوبة لمن خالف نبيه ﷺ (١)

ومن بلغه عن النبي ﷺ أمر أو نهي فلم يمتثله ولم يعمل بمدلوله، فلا يُؤمن معاجلة اللَّه له بالعقوبة في الدنيا، مع ما يدخر له في الأخرة مالم يغفر اللَّه له.

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه اللَّه: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته ويذهبون إلىٰ رأىٰ سفيان. واللَّه يقول: ﴿**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [سورة النور، آيه: ٦٣]. أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك. لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك» (٢).

وقال الضحاك رحمه اللَّه: ﴿**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ**﴾ قال: يطبع علىٰ قلبه، فلا يأمن أن يُظهر الكفر بلسانه، فتضرب عُنقه (٣).

---

(١) قال الإمام الدارمي في سُنة ١/ ١٢٧ - باب تعجيل عقوبة من بلغه عن النبي ﷺ حديث فلم يعظمه ولم يوقّره. وساق الأحاديث والآثار الموافقة للترجمة.

(٢) أورده شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب في كتابه الجليل كتاب التوحيد باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل اللَّه.

وأخرج ابن بطه نحوه في الإبانة. عن الإمام أحمد ١/ ٢٦٠ برقم ٩٧.

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري. في جامع البيان ١٨/ ١٧٨.



قال ابن جرير الطبري يرحمه اللَّه : ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يقول . أو يصيبهم في عاجل الدنيا عذاب من اللَّه موجع، على خلافهم أمر رسولِ اللَّه ﷺ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رفع اللَّه قدره، في معنى قوله تعالى ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ . فإذا كان المخالف لأمره قد حُذر من الكفر والشرك، أو من العذاب الأليم، دل على أنه قد يكون مفضياً إلى الكفر والعذاب الأليم، ومعلوم أن إفضاءه إلى العذاب الأليم هو مجرد فعل المعصية، فإفضاؤه إلى الكفر إنما هو لما يقترن به من الاستخفاف في حق الأمر، كما فعل إبليس لعنه اللَّه تعالى [١] .

قال العلاَّمة محمد الأمين الشنقيطي عفا اللَّه عنه وغفر له وأجزل مثوبته : الضمير في قوله : «عن أمره» راجع إلى الرسولِ، أو إلى اللَّه والمعنى واحد، لأن الأمر من اللَّه والرسولُ مبلغ عنه .

وهذه الآية الكريمة قد استدل بها الاصوليون على أن الأمر المجرد عن القرائن يقتضي الوجوبَ، لأنه جل وعلا توعد المخالفين عن أمره بالفتنة أو العذاب الأليم، وحذرهم من مخالفة الأمر، وكل ذلك يقتضي أن الأمر للوجوب، مالم يصرفْ عنه صارفٌ، لأن غيرَ الواجب لا يستوجب تركُهُ الوعيدَ الشديد والتحذير .

وهذا المعنى الذي دلت عليه هذه الآية الكريمة من اقتضاء الأمر المطلق الوجوب دلت عليه آيات أخرى من كتاب اللَّه . . . .

---

(١) ذكره الإمام الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ في فتح المجيد شرح كتاب التوحيد صحيفة ٣٨٩ .



ثم قال : بل يُفهم من نفس الصيغة أن الامتثال يلزمه، وأن العقاب على عدم الامتثال واقع موقعه، والفتنة في قوله تعالى ﴿ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ﴾ قيل هي القتل، وهو مرويّ عن ابن عباس، وقيل : الزلازل والأهوال، وهو مروي عن عطاء، وقيل : السلطان الجائر، وهو مروي عن جعفر بن محمد، قال بعضهم : هي الطبع على القلوب بسبب شؤم مخالفة أمر اللَّه ورسوله ﷺ. وقال بعض العلماء : فتنة : محنة في الدنيا أو يصيبهم عذاب أليم في الآخرة . . . .

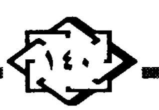
ثم قال غفر اللَّه له : قد دل إستقراء القرآن العظيم أن الفتنة فيه أطلقت على أربعة معان.

الأول : أن يُراد بها الإحراق بالنار كقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴾ [سورة الذاريات آية ١٣]. وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [سورة البروج، آية: ١٠]. أي أحرقوهم بنار الأخدود على القول بذلك.

الثاني : وهو أشهرها إطلاق الفتنة على الإختبار كقوله تعالى : ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ [سورة الأنبياء، آية: ٣٥]. وقوله تعالى : ﴿وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴾ [سورة الجن، آية: ١٦].

والثالث : إطلاق الفتنة على نتيجة الإختبار إن كانت سيئة كقوله تعالى : ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾ [سورة البقرة، آية: ١٩٣]. وفي الأنفال : ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [سورة الأنفال، آية: ٣٩]. فقوله : ﴿ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ أي حتى لا يبقى شرك على أَصَحّ التفسيرين . . . . . .

والرابع : إطلاق الفتنة على الحجة في قوله تعالى : ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ



﴿إلاَّ أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [سورة الأنعام، آية: ٢٣]، أي لم يكن حجتهم، كما قال به بعض أهل العلم.

والأظهر عندي: أن الفتنة في قوله هنا: ﴿أن تصيبهم فتنة﴾ أنه من النوع الثالث من الأنواع المذكورة. وأن معناه أن يفتنهم اللَّه أي يزيدهم ضلالاً بسبب مخالفتهم، عن أمره وأمر رسوله ﷺ (١).

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولاً (١٥) فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً﴾ [سورة المزّمل، آية: ١٥ - ١٦].

قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي والثوري ﴿أَخْذًا وَبِيلاً﴾ أي شديداً أي فاحذروا أنتم إن تكذّبوا هذا الرسولَ فيصيبكم ما أصاب فرعونَ حيث أخذه اللَّه أخذَ عزيزٍ مقتدر. كما قال تعالىٰ: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَىٰ﴾ [سورة النازعات، آية: ٢٥]، وأنتم أولىٰ بالهلاك والدمار إن كذّبتم رسولكم، لأن رسولكم أشرف وأعظمُ من موسىٰ بن عمران (٢).

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا (٦١) فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾ [النساء: ٦١-٦٢].

ولقد أصيب هؤلاء الحمقىٰ المتهوكون بعمىٰ في قلوبهم وفساد في عقولهم جزاء إعراضهم عما جاءهم به نبيهم من الهدىٰ، وأستعاضتهم عنه

---

(١) أضواء البيان ٦/ ٢٥٢ - ٢٥٣ - ٢٥٤ - ٢٥٥.

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره عند هذه الآية.

بأقوال مزخرفة مموهة، كلها سفسطة وهذيان [١].

وعن سلمة بن الأكوع أن أباه رضي اللّه عنهما حدث أن رجلاً أكل عند رسول اللّه ﷺ بشماله فقال «كُل بيمينك» قال لا أستطيع قال: «لا استطعت» مامنعه إلاَّ الكبر. قال: فما رفعها إلىٰ فيه [٢].

وعن أبي هريرة رضي اللّه عنه عن النبي ﷺ قال: «بينما رجل يتبختر في بردين خسف اللّه به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلىٰ يوم القيامة». فقال له فتىً قد سماه وهو في حلة: يا أباهريرة أهكذا كان يمشي ذلك الفتىٰ الذي خُسف به؟ ثم ضرب بيده فعثر عثرة كاد يتكسّر منها، فقال أبوهريرة. للمنخرين وللفم: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [سورة الحجر، آية: ٩٥] [٣].

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: جعل رسول الله ﷺ علىٰ الرماة يوم أحد وكانوا خمسين رجلا عبدالله بن جبير قال ووضعهم موضعا وقال: «إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا حتىٰ أرسل إليكم وإن رأيتمومنا ظهرنا علىٰ العدوّ وأوطأناهم فلا تبرحوا حتىٰ أرسل إليكم» قال: فهزموهم قال: فأنا والله رأيت النساء يشتددن علىٰ الجبل وقد بدت أسواقهن وخلاخلهن رافعات ثيابهن فقال أصحاب عبدالله بن جبير: الغنيمة أي قوم الغنيمة ظهر أصحابكم فما تنظرون قال عبدالله بن جبير: أنسيتم ماقال لكم رسول الله ﷺ؟ وقالوا: إنا والله لنأتين الناس فلنصيبن

---

(١) شرح القصيدة النونية ٢/ ١٨٥ للشيخ محمد خليل هراس رحمه الله.
(٢) أخرجه الإمام مسلم في الصحيح ١٣/ ١٩٢ النووي. أداب الطعام.
(٣) اتفق الشيخان علىٰ إخراج الطرف الأول منه.
وأخرجه بتمامه الدارمي في السُنن ١/ ١٢٧. برقم ٤٣٧.

من الغنيمة، فلما أتوهم صرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين فذلك الذي يدعوهم الرسول في أخراهم، فلم يبق مع رسول الله ﷺ غير اثنى عشر رجلا فأصابوا منا سبعين رجلا وكان رسول الله ﷺ وأصحابه أصاب من المشركين يوم بدر أربعين ومائة سبعين أسيراً وسبعين قتيلاً . . . . » الحديث(١) .

وفي رواية لأحمد «فنزلت ﴿ **وعصيتم من بعدما أراكم ماتحبون** ﴾ يقول عصيتم الرسول من بعد ما أراكم الغنائم وهزيمة العدوّ» .

قال العلامة ابن القيم رحمه الله . في كتابه العظيم زاد المعاد ٣/ ٢١٨ فصل ذكر بعض الحكم والغايات المحمودة التي كانت في وقعة أحد . فمنها : تعريفهم سوءَ عاقبة المعصية، والفشل، والتنازع، وأن الذي أصابهم إنما هو بشُؤم ذلك، كما قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ** ﴾ [آل عمران، آية : ١٥٢] .

فلما ذاقوا عاقبة معصيتهم للرسول، وتنازعهم، وفشلهم، كانوا بعد ذلك أشد حذراً ويقظة، وتحرزاً من أسباب الخِذلان، انتهى .

وقال رحمه الله في كتابه عدة الصابرين ٢٠٨ .

وقد قال تعالى لخير الخلق بعد الرسل : ﴿ **مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ** ﴾ . وهذا خطاب للذين شهدوا معه الوقعة، ولم يكن فيهم

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤/ ٢٩٣ ـ ٢٩٤ واللفظ له . وأخرجه الإمام البخاري في الصحيح ٧/ ٤٠٥ فتح برقم ٤٠٤٣ .



منافق. ولهذا قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: (ماشعرت أن أحد أصحاب رسول الله ﷺ يريد الدنيا حتىٰ كان يوم أحد ونزلت هذه الآية) والذين أريدوا في هذه الآية، هم الذين أخلوا مركزهم، الذي أمرهم رسول الله ﷺ بحفظه، وهم من خيار المسلمين. ولكن هذه إرادة عارضة حملتهم علىٰ ترك المركز، والاقبال علىٰ كسب الغنائم بخلاف من كان مراده الدنيا وعاجلها، فهذه الإرادة لون، وإرادة هؤلاء لون. انتهىٰ.

ولقد كان رسولُ اللَّه ﷺ حين مرَّ بالحجر بديار ثمود قال: «لا تشربوا من مائها شيئاً، ولا تتوضؤوا منه للصلاة، وما كان من عجين عجنتموه فاعلفـوه الابل، ولا تأكلوا منه شيئاً، ولا يخرجن أحد منكم الليلة إلا معه صاحب له» ففعل الناس ما أمرهم به رسول اللَّه ﷺ، إلا رجلين من بني ساعدة خرج أحدهما لحاجته، وخرج الآخر في طلب بعير له، فأما الذي ذهب لحاجته فإنه خُنق علىٰ مذهبه، وأما الذي ذهب في طلب بعيره فاحتملته الريح، حتىٰ طرحته بجبلي طيء، فأُخبر بذلك رسولُ اللَّه ﷺ، فقال: «ألم أنهكم أن يخرج أحد إلاّ معه صاحبه» ثم دعا رسولُ اللَّه ﷺ للذي أُصيب علىٰ مذهبه فشفي، وأما الآخر الذي وقع بجبلي طيء فإن طيئاً اهدته لرسولِ اللَّه ﷺ حين قدم المدينة (١).

وعن أبي حُميد قال: «خرجنا مع رسولِ اللَّه ﷺ غزوة تبوك فأتينا وادي القرىٰ ..... وانطلقنا حتىٰ قدمنا تبوك، فقال رسولُ اللَّه ﷺ: «ستهب عليكم الليلةَ ريحٌ شديدة فلا يقم فيها أحد منكم، فمن كان له بعير

---

(١) أخرجه ابن هشام في السيرة له غزوة تبوك. ماحدث بالحجر ٤/ ١٢٢ وأورده ابن القيم في الزاد ٣/ ٥٣١.

فليشد عقاله، فهبت ريح شديدة فقام رجل فحملته الريح حتىٰ ألقته بجبلي طيء . . . . » (١) .

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال : لما حاصر رسولُ الله ﷺ الطائف فلم ينل منهم شيئاً قال : «إنا قافلون إن شاء الله» فثقل عليهم، وقالوا : نذهب ولا نفتحه؟ .

وقال مرة «نقفل» فقال : «اغدوا علىٰ القتال» فغدوا، فأصابهم جراح فقال : «إنا قافلون غداً إن شاء الله» فأعجبهم، فضحك النبي ﷺ (٢) .

ومعني الحديث أنه ﷺ قصد الشفقة علىٰ أصحابه والرفق بهم بالرحيل عن الطائف لصعوبة أمره وشدة الكفار الذين فيه وتقويتهم بحصنهم، مع أنه ﷺ علم أو رجا أنه سيفتحه بعد هذا بلا مشقة كما جرىٰ، فلما رأىٰ حرص أصحابه علىٰ المقام والجهاد أقام . . . . . فلما أصابتهم الجراح رجع إلىٰ ماكان قصده أولاً من الرفق بهم، ففرحوا بذلك لما رأوا من المشقة الظاهرة، ولعلهم نظروا فعلموا أن رأي النبي ﷺ أبرك وأنفع وأحمد عاقبة وأصوب من رأيهم، فوافقوا علىٰ الرحيل، وفرحوا فضحك النبي ﷺ تعجباً من سرعة تغيير رأيهم والله أعلم (٣) .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المُسند ٦/ ٤٢٤ـ٤٢٥ . والإمام مسلم في صحيحه كتاب الفضائل باب معجزات النبي ﷺ ١٥/ ٤١ النووي .

(٢) متفق عليه أخرجه البخاري في الصحيح كتاب المغازي باب غزوة الطائف ٧/ ٦٤٠ فتح حديث رقم ٤٣٢٥ .

وأخرجه مسلم في الصحيح كتاب الجهاد والسير باب غزوة الطائف ١٢/ ١٢٢ ـ١٢٣ النووي .

(٣) شرح صحيح مسلم ١٢/ ١٢٤ النووي .

وعن ابن المسيب عن أبيه، أن أباه جاء إلى النبي ﷺ، فقال «ما اسمك» ؟ قال : حزن قال : «أنت سهل» قال لا أغير إسماً سمانيه أبي، قال ابن المسيب : فمازالت الحُزونة فينا بعد [١].

قال سعيد : فظننت أنه سيصيبنا بعده حزونه. لفظ أبي داود[٢].

قال ابن التين : يريد إمتناع التسهيل فيما يريدونه.

وقال الداودي : يريد الصعوبة في اخلاقهم [٣].

وإبن المسيب رحمه اللّه، مع فضله وعلوّ مكانتهِ إلا أنه يشير إلى أن ما أصابهم من الحزونة هو بسبب مخالفة جدّه لأمر رسولِ اللّه ﷺ.

وعن عبدالرحمن بن حرملة قال : جاء رجل إلى سعيد بن المسيب يودّعه بحج أو عمرة، فقال له : لا تبرح حتى تصلي، فإن رسول اللّه ﷺ قال : «لا يخرج بعد النداء من المسجد إلا منافق، إلا رجل أخرجته حاجته وهو يريد الرجعة إلى المسجد» [٤] فقال : إن أصحابي بالحرة، قال : فلم يزل سعيد يولع بذكره حتى أخبر أنه وقع من راحلته فانكسرت فخذه» [٥].

وأخرج ابن قدامة بسنده أن أبا إسحاق الفزاري رحمه اللّه كتب إلى الإمام الأوزاعي بقصة حدثت لنابش قبر أثناء نبشه لقبر امرأة دفنها، فكتب

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في الصحيح كتاب الادب باب اسم الحزن ١٠/ ٥٨٩ برقم ٦١٩٠.

(٢) أخرجه أبو داود في السنن برقم ٤٩٥٦ .

(٣) انظر الفتح ١٠/ ٥٩٠.

(٤) حديث صحيح انظر الترغيب حديث رقم ٢٦٠.

(٥) أخرجه الدارمي في السُنن حديث رقم ٤٤٦ .



إليه الأوزاعي : ويحك سله عمن مات من أهل التوحيد ووجهه إلى القبلة . أحول وجهه أم ترك وجهه إلى القبلة ؟ قال : فجاءني الكتاب فقلت له : أخبرني عمن مات من أهل الإسلام أترك وجهه على ماكان ، أم ماذا ؟ فقال أكثر ذلك حول وجهه عن القبلة ، فكتبت بذلك إلى الأوزاعي ، فكتب إليّ : إنا لله وإنا إليه راجعون ـ ثلاث مرات ـ أما من حول وجهه عن القبلة فإنه مات على غير السُّنة (١) .

قال شيخ الإسلام : وكذلك ألبس اللَّه سبحانه الذلةَ والصغارَ لمن خالف أمره ، كما في مسند الإمام أحمدَ من حديث عبداللَّه بنِ عمر عن النبي ﷺ أنه قال : «بعثت بين يدي الساعة حتى يعبد اللَّه وحده لا شريك له ، وجعل رزقي تحت ظل رمحي ، وجعلت الذلة والصغار على من خالف أمري ، ومن تشبه بقوم فهو منهم» (٢) . وكما أن من خالفه وشاقه وعاداه هو الشقيُ الهالكُ فكذلك من أعرض عنه وعما جاء به واطمأن إلى غيره ورضي به بدلاً منه هو هالك أيضاً ، فالشقاء والضلال في الإعراض عنه وفي تكذيبه ، والهدى والفلاح في الإقبال على ماجاء به وتقديمِه على كلّ ماسواه ، فالأقسامُ ثلاثةٌ : المؤمن به ، وهو : المتبع له المحب له ، المقدم له على غيره ، والمعادي له والمنابذ له ، والمعرض عما جاء به ، فالأول هو السعيد ، والآخران هما الهالكان . فنسأل اللَّه العظيم أن يجعلنا من المتبعين

---

(١) أخرجه الإمام موفق الدين ابن قدامه . في كتاب التوابين من قصة طويلة . تحت عنوان توبة نابش عن نبش القبور صحيفة ٢٨٣ . وذكرها العلامة ابن القيم في الروح ص ٩٦ وعزاها لابن أبي الدنيا .

(٢) تقدم تخريجه ص ٣٩ .

له، المؤمنين بـه، وأن يحيينا على سُنته ويتوفانا عليها، لا يفرق بيننا وبينها، إنه سميع الدعاء وأهل الرجاء، وهو حسبنا ونعم الوكيل. والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه الطيبين الطاهرين [١].

* * *

(١) فتاوى شيخ الإسلام ١٩/ ١٠٤، ١٠٥.



حرص السلف على إرشاد الأمة للزوم السُنة

لقد حرص السلف رضي اللَّه عنهم على هداية الأمة وبذلوا النصح والإرشاد، ليلتزم الناس بسُنة الرسول ﷺ. لعلمهم أن اعتصام الأمة بالسُنة هو طريق السعادة والفلاح، وماسوىٰ ذلك فهو طريق الإنحراف والضلال. وإن لكلامهم رضي اللَّه عنهم أثراً بليغاً علىٰ من تمعنه وتفكر فيه. ومن ذلك ماورد عن عبداللَّه بن مسعود (١) رضي اللَّه عنه قال: «الإقتصاد في السُنة خير من الإجتهاد في البدعة» (٢) وقال «اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم كل ضلالة» (٣).

وقال ابن عباس رضي اللَّه عنهما: «النظر إلىٰ الرجل من أهل السُنةِ

---

(١) قال فيه النبي ﷺ: «رضيت لأمتي مارضي لها ابن أم عبد» أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/ ٣١٧-٣١٨، والبيهقي في المدخل باب أقاويل الصحابة برقم ٩٦، والطبراني في الكبير ٩/ ٨٠ برقم ٨٤٥٨.
انظر السلسلة الصحيحة حاشية حديث رقم ١٢٢٥.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ١/ ١٠٣، والدارمي في السُنن برقم ٢١٧. وأحمد في الزهد برقم ٨٦٩. وابن الجوزي في التلبيس صحيفه ١٠، وابن عبدالبر في جامع بيان العلم ٢/ ١٨٨.

(٣) أخرجه الدارمي في سُننه ١/ ٨٠ برقم ٢٠٥، وأخرجه أحمد في الزهد برقم ٨٩٤، واللالكائي في شرح اعتقاد أهل السُنة ١/ ٨٦، وابن وضاح في البدع صحيفة ١٠، والبيهقي في المدخل باب ما يذكر من ذم الرأي برقم ٢٠٤، والطبراني في الكبير ٩/ ١٥٤ برقم ٨٧٧٠ راجع مجمع الزوائد ١/ ١٨١.

يدعو إلى السُنة وينهى عن البدعة عباده »[١] . وقال رضي اللّه عنه لعثمان الأزدي حينما استوصاه «عليك بتقوى اللّه والاستقامة، اتبع ولا تبتدع»[٢] .

وقال سفيان الثوري : «لا يُقبل قول إلا بعمل، ولا يستقيم قول وعمل إلا بنية، ولا يستقيم قول وعمل ونية إلا بموافقة السُنة» [٣] .

وقال أبوبكر بن عياش : «السُنة في الإسلام أعز من الإسلام في سائر الأديان»[٤] .

وقال الزهري : «كان من مضى من علمائنا يقولون : الإعتصام بالسُنة نجاة» [٥] .

وقال الأوزاعي : «أصبر نفسك على السُنة، وقف حيث وقف القوم، وقل بما قالوا، وكف عما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح، فإنه يسعك ماوسعهم»[٦] .

---

(١) أخرجه اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السُنة ١/ ٥٤-٥٥، وابن الجوزي في التلبيس صحيفة ١١ .

(٢) أخرجه الدارمي في سُننه ١/ ٦٥-٦٦ برقم ١٣٩، وابن وضاح في البدع صحيفة ٢٥ .

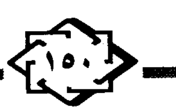
(٣) أخرجه أبونعيم في الحلية ٧/ ٣٢، وابن الجوزي في التلبيس صحيفة ١١، واللالكائي نحوه عن سعيد بن جبير ١/ ٥٧ .

وأخرجه الآجري في الشريعة صحيفة ١٣١ عن علي بن أبي طالب وإبن مسعود .

(٤) أخرجه اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السُنة ١/ ٦٦، وابن الجوزي في التلبيس صحيفة ١٢ .

(٥) أخرجه الدارمي في سُننه ١/ ٥٨ برقم ٩٦، اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السُنة ١/ ٩٤، وأبو نعيم في الحلية ٣/ ٣٦٩، والبيهقي في المدخل برقم ٨٦٠ .

(٦) أخرجه اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السُنة ١/ ١٥٤، وابن الجوزي في التلبيس صحيفة ١١ .



وقال أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز : «أوصيكم بتقوى اللّه والإقتصاد في أمره، وإتباع أمر رسولِ اللّه ﷺ، وترك ما أحدث المحدثون بعده» (١) .

وقال الفضيل بن عياض : «أدركت خيار الناس كلهم أصحاب سنة، وينهون عن أصحاب البدع» (٢) . وقال : «طوبى لمن مات على الإسلام والسُنة، فإذا كان كذلك فليكثر من قول ماشاء اللّه» (٣) .

وقال أبو الحسن بن سالم : «جاء رجل إلى سهل بن عبداللّه : وبيده محبرة وكتاب، فقال لسهل : أحببت أن أكتب كتاباً ينفعني اللّه به، فقال : اكتب. إن استطعت أن تلقى اللّه وبيدك الحبرة والكتاب فافعل، قال يا أبا محمد أفِدْني فائدة، فقال : «الدنيا كلها جهل إلا ماكان علماً، والعلم كله حجة الإ ماكان عملاً، والعمل كله موقوف إلا ما كان منه على الكتاب والسُنة، وتقوم السُنة على التقوى» (٤) .

وقال الإمام الشافعي : «أجمع العلماء على أن من استبانت له سنة رسولِ اللّه ﷺ لم يكن له أن يدَعها لقولِ أحدٍ» (٥) . وقال : «إذا رأيتموني

---

(١) أخرجه أبوداود في السُنن برقم ٤٦١٢، وإبن وضاح في البدع صحيفة ٣٠، وأبو نعيم في الحلية ٥/ ٣٣٨ وقال الألباني صحيح مقطوع، انظر صحيح أبي داود.

(٢، ٣) أخرجهما اللالكائي في شرح اعتقاد اهل السُنة ١/ ١٣٨ .

(٤) أخرجه ابن الجوزي في التلبيس صحيفة ٣١٤ .

(٥) ذكره العلاَّمة ابن القيم في كتابه العظيم إعلام الموقعين ١/ ٣٤ .

أورده صاحب فتح المجيد عن الإمام الشافعي . وذكره العلاَّمة الألباني في مقدمة كتاب صفة صلاة النبي ﷺ .

وقال العلاَّمة عبداللّه بن منيع . قد ثبت عن الشافعي رحمه اللّه فذكره. حوار مع المالكي في رد منكراته وضلالاته صحيفة ١٢٠ .



أقول قولاً، وقد صحَّ عن النبي ﷺ خلافه، فاعلموا أن عقلي قد ذهب»[١].

وعن أبي بكر بن خزيمة قال: «ليس لأحدٍ مع رسولِ اللَّه ﷺ قول إذا صح الخبر عنه»[٢]. وقال يحيىٰ بن آدم: «لا يحتاج مع قول النبي ﷺ إلىٰ قول أحد وإنما كان يُقال سنة النبي ﷺ، وأبي بكر وعمر رضي اللَّه عنهما. ليُعلم أن النبي ﷺ مات وهو عليها»[٣].

وقال شيخ الإسلام: «فعلىٰ الخلق كلهم اتباع محمد ﷺ فلا يعبدون إلا اللَّه، ويعبدونه بشريعة محمد لا بغيرها». قال اللَّه تعالىٰ: ﴿**ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون إنهم لن يغنوا عنك من اللّه شيئاْ وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض واللّه ولي المتقين**﴾ ويجتمعون علىٰ ذلك ولا يتفرقون[٤].

وقال: (وقد أرسله اللَّه إلىٰ الثقلين الجن والإنس. فعلىٰ كل أحد أن يؤمن به وبما جاء به، ويتبعه في باطنه وظاهره، والإيمان به ومتابعته هو سبيل اللَّه وهو دين اللَّه وهو عبادة اللَّه وهو طاعة اللَّه وهو طريق أولياء اللَّه، وهو الوسيلة التي أمر اللَّه بها عباده في قوله تعالىٰ: ﴿**يا ايها الذين آمنوا اتقوا اللّه وابتغوا إليه الوسيلة**﴾.

فابتغاء الوسيلة إلىٰ اللَّه إنما يكون لمن توسل إلىٰ اللَّه بالإيمان بمحمد واتباعه، وهذا التوسل بالإيمان به وطاعته فرض علىٰ كل أحد، باطناً

---

(١) أخرجه البيهقي في المدخل برقم ٢٥٠، وأبو نعيم في الحلية ٩/ ١٠٦، وقال الألباني سنده صحيح.

(٢، ٣) أخرجهما البيهقي في المدخل برقم ٢٩.

(٤) مجموع الفتاوىٰ لشيخ الإسلام ١١/ ٥٢٣.



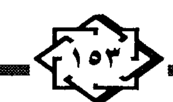
وظاهراً في حياة رسول الله ﷺ وبعد موته، في مشهده ومغيبه، لا يسقط التوسل بالإيمان به وبطاعته عن أحد من الخلق في حال من الأحوال، بعد قيام الحجة عليه ولا بعذر من الأعذار، ولا طريق إلى كرامة الله ورحمته والنجاة من هوانه وعذابه إلا التوسل بالإيمان به وبطاعته [١].

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: (ولما كان كمال الإرادة بحسب كمال مرادها، وشرف العلم تابع لشرف معلومه، كانت نهاية سعادة العبد الذي لا سعادة له بدونها، ولا حياة له إلا بها، أن تكون إرادته متعلقة بالمراد الذي لا يبلى، ولا يفوت، وعزمات همته مسافرة إلى حضرة الحي الذي لا يموت. ولا سبيل له إلى هذا المطلب الأسنى، والحظ الأوفى، إلا بالعلم الموروث عن عبده ورسوله وخليله وحبيبه الذي بعثه لذلك داعياً، وأقامه على هذا الطريق هاديا، وجعله واسطة بينه وبين الأنام، وداعياً لهم بإذنه إلى دار السلام. وأبى سبحانه أن يفتح لأحد منهم إلا على يديه: أو يقبل من أحد منهم سعياً إلا أن يكون مبتدأ منه ومنتهياً إليه.

فالطرق كلها إلا طريقه ﷺ مسدودة، والقلوب بأسرها إلا قلوب أتباعه المنقادة إليه عن الله محبوسة مصدودة، فحق على من كان في سعادة نفسه ساعياً، وكان قلبه حياً عن الله واعياً أن يجعل على هذين الأصلين مدار أقواله وأعماله، وأن يصيرهما أخبيته التي إليها مفزعه في حياته ومآله)[٢].

وقال رحمه الله في قوله: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ

(١) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ١/ ١٤٣.
(٢) مفتاح دار السعادة ٦١، ٦٢.



خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]. وقد دارت أقوال السلف على أن فضل الله ورحمته الإسلام والسنة وعلى حسب حياة القلب يكون فرحه بهما، وكلما كان أرسخ فيهما كان قلبه أشد فرحًا حتى إن القلب ليرقص فرحًا إذا باشر روح السنة، أحزن ما يكون الناس، وهو ممتلئ أمنًا أخوف ما يكون الناس.

فإن السنة حصن الله الحصين الذين من دخله كان من الآمنين، وبابه الأعظم الذي من دخله كان إليه من الواصلين تقوم بأهلها وإن قعدت بهم أعمالهم، ويسعى نورها بين أيديهم إذا طفئت لأهل البدع والنفاق أنوارهم، وأهل السنة: هم المبيضة وجوههم إذا اسودت وجوه أهل البدع قال تعالى: ﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه﴾ قال ابن عباس: تبيض وجوه أهل السنة والائتلاف، وتسود وجوه أهل البدعة والتفرق.

وهي الحياة والنور اللذان بهما سعادة العبد وهداه وفوزه قال جل وعلا: ﴿**أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا**﴾ [الأنعام: ١٢٢] فصاحب السنة حي القلب مستنير القلب، وصاحب البدعة ميت القلب مظلمه(١).

وقال رحمه الله تعالى في موضع آخر، ذكر فيه أبوابًا عظيمة من فهم المعاد وتفاوت الناس في أحواله وما يجري فيه من الأمور المتنوعة:

ومنها: أن ورود الناس الحوض وشربهم منه يوم العطش الأكبر بحسب ورودهم سنة رسول الله ﷺ وشربهم منها فمن وردها في هذه الدار وشرب منها وتضلع ورد هناك حوضه وشرب منه وتضلع، فله ﷺ حوضان عظيمان حوض في الدنيا وهو سنته وما جاء به، وحوض في الآخرة،

---

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية ص٣٨ ـ ٢٩

فالشاربون من هذا الحوض في الدنيا هم الشاربون من حوضه يوم القيامة فشارب ومحروم ومستقل ومستكثر والذين يذودهم هو والملائكة عن حوضه يوم القيامة هم الذين كانوا يذودون أنفسهم وأتباعهم عن سنته ويؤثرون عليها غيرها فمن ظمأ من سنته في هذه الدنيا ولم يكن له منها شرب فهو في الآخرة أشد ظمًا وأحر كبدًا، وإن الرجل ليلقى الرجل فيقول: يا فلان أشربت؟ فيقول: نعم والله، فيقول: لكني والله ما شربت، واعطشاه.

فرد أيها الظمآن والـورد ممكـن ... فإن لم ترد فاعلم بأنـك هـالك

وإن لم يكن رضوان يسقيك شربة ... سيسقيكها إذا نت ظمئان مـالك

وإن لم ترد في هذه الدار حوضه ... ستصرف عنه يوم يلقاك آنـك[1]

وكان سلف هذه الأمة يعرفون لأهل السُنة قدرهم وحقهم ويفرحون لرؤيتهم ويتألمون لفراقهم.

قال سفيان الثوري : يا يُوسف إذا بلغك عن رجل بالمشرق أنه صاحبُ سنة فابعث إليه بالسلام، وإذا بلغك عن آخر بالمغرب أنه صاحب سنة فابعث إليه بالسلام، فقد قل أهل السُنة والجماعة»[2]. وقال : «استوصوا بأهل السُنة خيراً، فإنهم غرباء»[3].

(١) المصدر السابق ص٨٥ـ٨٦ .

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السُنة ١/ ٦٤، وأبو نعيم في الحلية ٧/ ٣٤، وابن الجوزي في التلبيس صحيفة ١١ .

(٣) أخرجه اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السُنة ١/ ٦٤، وابن الجوزي في التلبيس صحيفه ١٢، وذكره الذهبي في سير النبلاء ٧/ ٢٧٣ .



وقال أيوب : «إني لأخبر بموت الرجل من أهل السُنة فكأني أفقد بعض أعضائي» [(١)].

وقال أسد بن موسى : كنا عند سفيان بن عيينة فنعي إليه الدراوردي فجزع وأظهر الجزع ولم يكن قد مات فقلنا ما علمنا أنك تبلغ مثل هذا ! قال : إنه من أهل السنة [(٢)].

وقال ابن شوذب : «إن من نعمة اللّه على الشاب إذا نسك أن يؤاخي صاحب سنة يحمله عليها» [(٣)].

وقال الشافعي : «إذا رأيت رجلاً من أصحاب الحديث فكأني رأيت رجلاً من أصحاب رسولِ اللّه ﷺ» [(٤)].

وقال زكريا بن يحيى سمعت أبا بكر بن عياش قال له رجل : يا أبابكر من السني؟ قال : الذي إذا ذكرت الأهواء لم يتعصب لشيء منها [(٥)].

---

(١) أخرجه اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السُنة ١/ ٥٩ ـ ٦٠ ، وأبو نعيم في الحلية ٣/ ٩ . وإبن الجوزي في التلبيس صحيفة ١٢ .

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١/ ٦٦ برقم ٥٦ .

(٣) أخرجه اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السُنة ١/ ٦٠ . وإبن الجوزي في التلبيس صحيفة ١٢ .

(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٩/ ١٠٩ ، وإبن الجوزي في التلبيس صحيفة ١٢ .

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السُنة ١/ ٦٥ برقم ٥٣ .

تحذير السلف من البدع ومجالسة أهلها

لقد حرص السلف على سلامة الأمة من الوقوع في البدع، لكونها السبب في فرقة الأمة ودس الفتن والعداوة بين أفرادها. وأعظم من ذلك غضب الرب تبارك وتعالى وعذابه.

(وقد ثبت عن أصحاب رسول الله ﷺ، وعن السلف الصالح بعدهم، التحذير من البدع والترهيب منها، وما ذاك إلا لأنها زيادة في الدين، وشرع لم يأذن به الله، وتشبه بأعداء الله من اليهود والنصارى، في زيادتهم في دينهم، وابتداعهم فيه لم يأذن به الله، ولأن لازمها التنقص للدين الإسلامي، واتهامه بعدم الكمال، ومعلوم ما في هذا من الفساد العظيم، والمنكر الشنيع والمصادمة لقول الله عز وجل: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ والمخالفة الصريحة لأحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام، المحذرة من البدع والمنفرة منها)(١) .

[وقد كان السلف الصالح يحذرون من أهل البدع، ويبالغون في التحذير منهم، وينهون عن مجالستهم ومصاحبتهم وسماع كلامهم، ويأمرون بمجانبتهم ومعاداتهم وبغضهم وهجرهم] (٢)

---

(١) قاله العلامة ابن باز رحمه الله في الفتاوى ١/ ٢٢٩ .

(٢) قاله العلاَّمة الشيخ حمود بن عبدالله التويجري رحمه الله في كتابه القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ صحيفة ٣١.

فعن عبداللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه قال : (ليس عام إلا والذي بعده شر منه ، لا أقول عام أمطر من عام ولا عام أخصب من عام ولا أمير خير من أمير ، ولكن ذهاب علمائكم وخياركم ثم يحدث أقوام يقيسون الأمور بآرائهم فيهدم الإسلام ويثلم) [١] .

وقال ابن عمر رضي اللَّه عنهما : (كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة) [٢] .

وعن نافع قال : بينما نحن عند عبدالله بن عمر جاءه إنسان فقال : إن فلاناً يقرأ عليك السلام لرجل من أهل الشام .

فقال ابن عمر : إنه قد بلغني أنه قد أحدث حدثاً فإن كان كذلك فلا تقرأن عليه مني السلام . . . [٣] .

وقال ابن عباس رضي اللَّه عنهما : (إن أبغض الأمور إلى اللَّه تعالى البدع) [٤] .

---

(١) أخرجه الدارمي في سُننه ١/ ٧٦ برقم ١٨٨ ، وابن وضاح في البدع صحيفة ٣٣ ، وابن عبدالبر في جامع العلم باب الرأي والقياس ٢/ ١٣٥ .

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح إعتقاد أهل السُنة ١/ ٩٢ . وأخرجه ابن نصر في السُنة برقم ٨٢ . وقال الألباني صحيح الاسناد انظر إصلاح المساجد من البدع والعوائد بتحقيقه صحيفة ١٣ .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢/ ١٣٧ . وأخرجه اللالكائي في شرح السنة ٣/ ٦٣٤ ، فقرة ١١٣٥ . قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٢٠٣ رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

(٤) أخرجه البيهقي في السُنن الكبرى ٤/ ٣١٦ .

وقال ابن مبارك : (ليكن مجلسك مع المساكين، واحذر أن تجلس مع صاحب بدعة) [١].

وقال الإمام مالك : (من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً خان الرسالة. لأن اللّه يقول ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة، اية: ٣]. فما لم يكن يومئذ ديناً لا يكون اليوم دينا) [٢].

وهذه الآية تدل دلالة صريحة، على أن الله سبحانه وتعالى قد أكمل لهذه الأمة دينها، وأتم عليها نعمته، ولم يتوف نبيه عليه الصلاة والسلام إلا بعد ما بلغ البلاغ المبين، وبين للامة كل ما شرعه الله لها من أقوال وأعمال، وأوضح أن كل ما يحدثه الناس بعده، وينسبونه إلى الدين الإسلامي، من أقوال وأعمال، فكله بدعة مردودة على من أحدثها، ولو حسن قصده [٣].

ورأى يونس بن عبيد ابنه وقد خرج من عند صاحب هوى فقال : يابني من أين خرجت ؟ قال : من عند عمرو بن عبيد، قال يابني : لأن أراك خرجت من بيت هيتي [٤] أحب إليّ من أن أراك خرجت من بيت فلان وفلان، ولأن تلقى الله زانياً سارقاً خائناً أحب إلي من أن تلقاه بقول أهل الأهواء.

ثم قال الإمام البربهاري رحمه الله : أفلا تعلم أن يونس قد علم أن

(١) أخرجه اللالكائي في شرح إعتقاد أهل السُنة ١/ ١٣٧، وذكره الذهبي في سير النبلاء ٨/ ٣٩٩.

(٢) الشاطبي في الاعتصام ١/ ٤٩.

(٣) قاله العلامة ابن باز رحمه الله. الفتاوى ١/ ٢٢٨ـ٢٢٩.

(٤) مخنث نفاه النبي ﷺ من المدينة. القاموس المحيط ص٢٠٩.

الهيتي لا يضل ابنه عن دينه ، وأن صاحب البدعة يضله حتى يكفره ؟ [(١)] .

وقال الشافعي : (لأن يلقى اللّه العبد بكل ذنب ماخلا الشرك باللّه ، خير من أن يلقاه بشيء من الأهواء - بشيء من الكلام) [(٢)] .

وكان أبو إدريس الخولاني يقول : (لأن أسمع بناحية المسجد بنار تحترق لا أستطيع أطفيها أحبُّ إلي من أن أسمع فيه ببدعة ليس لها مغير ، وما أحدثت أمة في دينها بدعة إلا رفع اللّه بها عنهم سنة) [(٣)] .

وقال سفيان الثوري : (البدعة أحب إلى إبليس من المعصية فإن المعصية يُتاب منها ، والبدع لا يُتاب منها)[(٤)] ومنى قوله : إن البدعة لا يتاب منها .

أن المبتدع الذي يتخذ دينًا لم يشرعه الله ولا رسوله قد زين له سوء عمله فرآه حسنًا فهو لا يتوب ما دام يراه حسنًا ، لأن أول التوبة العلم بأن فعله سيء ليتوب منه ، أو بأنه ترك حسنًا مأموراً به أمر إيجاب أو استحباب ليتوب ويفعله . فما دام يرى فعله حسنًا وهو سيء في نفس الأمر فإنه لا يتوب .

---

(١) كتاب شرح السنة للبربهاري ص ٥٤ ، فقرة ١١٦ .

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح إعتقاد أهل السُنة ١/ ١٤٦ . وأبو نعيم في الحلية ٩/ ١١١ . وابن الجوزي في التلبيس صحيفة ٨١ . وابن عبدالبر في جامع بيان العلم ٢/ ٩٥ . وأخرجه الصابوني في عقيدة السلف ص ٥١ .

(٣) أخرجه ابن وضاح في البدع صحيفة ٣٦ ، وابن نصر في السُنة برقم ٩٩ .

(٤) أخرجه اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السُنة ١/ ١٣٢ ، وعلي بن الجعد في مسنده برقم ١٨٠٩ ، وأبو نعيم في الحلية ٧/ ٢٦ ، وابن الجوزي في التلبيس صحيفة ١٥ . وأورده شيخ الإسلام في الفتاوى ١١/ ٤٧٢ .



ولكن التوبة منه ممكنة وواقعة بأن يهديه الله ويرشده حتى يتبين له الحق كما هدى سبحانه وتعالى من هدي من الكفار والمنافقين وطوائف من أهل البدع والضلال [١].

وقال : (من سمع بدعة فلا يَحْكِها لجلسائه لئلا يلقيها في قلوبهم) [٢].

وقال الفضيل بن عياض : (إذا رأيت مبتدعاً في طريق فخذ في آخر، ولا يُرفع لصاحب بدعة إلى اللّه عمل، ومن أعان صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام)[٣]. وقال : (من جلس إلى صاحب بدعة، أحبط اللّه عمله، وأخرج نور الإيمان - أو قال الإسلام - من قلبه) [٤].

وقال : (من جلس مع صاحب بدعة لم يعط الحكمة، وإذا علم اللّه من رجل أنه مبغض لصاحب بدعةٍ رجوت أن يغفر اللّه له) [٥].

وقال محمد بن نضر الحارثي : (من أصغى بسمعه إلى صاحب بدعة،

---

(١) قاله شيخ الإسلام رحمه الله الفتاوى ١٠/ ٩ ـ ١٠ .

(٢) أخرجه أبونعيم في الحلية ٧/ ٣٤ . وذكره الذهبي في سير النبلاء ٧/ ٢٦١ .

(٣) أخرجه ابن الجوزي في التلبيس صحيفة ١٦ . اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السُنة عن يحيى ابن أبي كثير بلفظ (إذا لقيت صاحب بدعة في طريق فخذ في غيره) ١/ ١٣٧ . وابن وضاح في البدع صحيفة ٤٨ .

(٤) أخرجه اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السُنة ١/ ٣٨، وابن الجوزي في التلبيس صحيفة ١٦ . وذكره الذهبي في النبلاء ٨/ ٤٣٥ .

(٥) أخرجه ابن الجوزي في التلبيس صحيفة ١٦ . وذكر الذهبي الطرف الأول منه في سير النبلاء ٨/ ٤٣٥ .

نزعت منه العصمة ووكل إلىٰ نفسه) (١).

وقال أيوب السختياني : (ما ازداد صاحب بدعة اجتهاداً، إلا ازداد من اللَّه بُعداً) (٢).

وقال إبراهيم بن ميسرة : (من وقر صاحب بدعة فقد أعان علىٰ هدم الإسلام)(٣).

قال الحسن البصري : (لا يقبل اللَّه من صاحب البدعة شيئاً) (٤).

وقال هشام بن حسان : (لا يقبل اللَّه من صاحب بدعة صياماً ولا صلاة ولا زكاة ولا حجاً ولا جهاداً ولا عمرة ولا صدقة ولا عتقاً ولا صرفاً ولا عدلاً) (٥).

وقال الأوزاعي قال حسان بن عطية : (ما ابتدع قوم بدعة في دينهم إلا نزع اللَّه من سُنتهم مثلها. ثم لا يعيدها إليهم إلىٰ يوم القيامة) (٦).

---

(١) أخرجه اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السُنة ١/ ١٣٦، وإبن الجوزي في التلبيس ١٦، وابن نعيم في الحلية ٧/ ٣٣ـ٣٤، ولابن وضاح في البدع عن سفيان الثوري نحوه ٤٨.

(٢) أخرجه ابن وضاح في البدع ٢٧. وإبن الجوزي في التلبيس ١٥،

(٣) أخرجه اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السُنة ١/ ١٣٩، وأخرجه ابن وضاح في البدع صحيفة ٤٨.

(٤) أخرجه اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السُنة ١/ ١٣٩.

(٥) أخرجه ابن وضاح في البدع صحيفة ٢٧، واللالكائي عن الحسن ١/ ١٣٩.

(٦) أخرجه الدارمي في سُننه ١/ ٥٨ برقم ٩٨، وأخرجه الإمام اللالكائي ١/ ٩٣، وأخرجه ابن وضاح في البدع والنهي عنها ٣٧. وقال الألباني سنده صحيح تخريج المشكاة ١/ ٦٦ برقم ١٨٨.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : (إن أهل البدع شر من أهل المعاصي الشهوانية، بالسُنة والإجماع، فإن النبي ﷺ أمر بقتال الخوارج، ونهىٰ عن قتال أئمة الظلم وقال في الذي يشرب الخمر : «لا تلعنه فإنه يحب اللَّه ورسولَه» . وقال في ذي الخويصرة : «يخرج من ضئضيء هذا أقوام يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم. يمرقون من الدين - وفي رواية من الإسلام - كما يمرق السهم من الرمية، يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم، وقراءته مع قراءتهم، أينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجراً عند اللَّه لمن قتلهم يوم القيامة) (١) .

* * *

---

(١) فتاوىٰ شيخ الإسلام ٢٠/ ١٠٣ .

ضرورة السنة لفهم القرآن

إن من الناس من انضم إلى جند الشيطان وحزبه، فأغواهم بإجلابه عليهم بخيله ورجله، وقد أتوا بما يُصدق ماكذبوا ويثبت ماأنكروا. فقالوا قولاً عجبا به قد ظهر جهلهم وبان عوارهم وأفتضح أمرهم.

فقالوا بعدم حُجية السُنة، فقولهم هذا من دلائل النبوة فإن الصادق المصدوق ﷺ قد أخبر عن هذا الأمر قبل وقوعه، بأنه سيكون من الناس من يرد سنته، فأتى كما أخبر به.

فعن المقدام بن معديكرب رضي اللّه عنه قال: قال رسولُ اللّه ﷺ: «ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني وهو متكيء على أريكته. فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله. فما وجدنا فيه حلالاً استحللناه، وماوجدنا فيه حراماً حرمناه. وإن ماحرم رسول اللّه ﷺ كما حرم اللّه» (١). وفي رواية الحاكم وابن ماجة: «يوشك الرجل متكئاً على أريكته يُحدث بحديث من حديثي فيقول . . . .». الحديث

وفي رواية أحمد وأبي داود: «ألا إني أوُتيت الكتاب ومثله معه، لا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وماوجدتم فيه من حرام فحرموه . . . .».

---

(١) أخرجه الترمذي في سُننه أبواب العلم باب مانُهي عنه ان يُقال عند حديث رسولِ اللّه ﷺ. والحاكم في المستدرك ١/ ١٠٩. وإبن ماجه في سُننه باب إتباع سُنة رسولِ اللّه ﷺ برقم ١٣. وأحمد في المسند ٤/ ١٣١ وأبو داود في سُننه كتاب السُنة باب في لزوم السُنة برقم ٤٦٠٤.

قال ابن مسعود رضي الله عنه : ستجدون أقوامًا يدعونكم إلىٰ كتاب الله وقد نبذوه وراء ظهورهم ، فعليكم بالعلم ، وإياكم والتبدع ، وإياكم والتنطع ، وعليكم بالعتيق (١) .

وقال ابن عبدالبر رحمه الله : وأهل البدع أجمع ، أضربوا عن السنن ، وتأولوا الكتاب علىٰ غير ما بينت السنة فضلوا وأضلوا نعوذ بالله من الخذلان ، ونسأله التوفيق والعصمه برحمته(٢) .

قال الإمام أبو محمد البربهاري رحمه الله : (وإذا سمعت الرجل تأتيه بالأثر فلا يريده ، ويريد القرآن فلا تشك أنه رجل قد أحتوىٰ علىٰ الزندقة ، فقم من عنده ودعه)(٣) .

قال الآجري ، [وينبغي لأهل العلم والعقل إذا سمعوا قائلاً يقول : قال رسولُ اللَّه ﷺ في شيء قد ثبت عند العلماء ، فعارض إنسان جاهل ، فقال : لا أقبل إلا ماكان في كتاب اللَّه عز وجل ، قيل له : أنت رجل سوء ، وأنت ممن حذرناك النبي ﷺ ، وحذر منك العلماء .

وقيل له ياجاهل أن اللَّه عزَّ وجلَّ أنزل فرائضه جملة ، وأمر نبيه ﷺ أن يبين للناس ما أنزل إليه ، قال اللَّه عزَّ وجلَّ ﴿**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [سورة النحل، آية : ٤٤]. فأقام اللَّه عزَّ وجلَّ وعلا نبيَّه ﷺ مُقام البيان عنه ، وأمر الخلق بطاعته ونهاهم عن معصيته ، وأمرهم بالانتهاء عما نهاهم عنه ، وقيل لهذا المعارض لسُنن الرسولِ ﷺ : ياجاهل ، قال اللَّه عزَّ وجلَّ ﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ**﴾ [سورة البقرة، آية : ٤٣] أين تجد

(١ , ٢) جامع بيان العلم وفضله ٢/ ١٩٣ .

(٣) كتاب شرح السنة ص ٤٥ ، فقرة ١١٤ .



في كتاب اللَّه عزَّ وجلَّ أن الفجر ركعتان، وأن الظهر أربع، وأن العصر أربع، وأن المغرب ثلاث، وأن العشاء أربع ؟ وأين تجد أحكام الصلاة ومواقيتها، ومايصلحها وما يبطلها إلا من سُنن النبي ﷺ ؟ ومثلهاالزكاة، أين تجد في كتاب اللَّه عزَّ وجلَّ من مائتي درهم خمسة دراهم، ومن عشرين دينارا نصف دينار، ومن أربعين شاة شاة، ومن خمس من الإبل شاة ومن جميع أحكام الزكاة، أين تجدها في كتاب اللَّه عزَّ وجلَّ ؟ وكذلك جميع فرائض اللَّه عزَّ وجلَّ، التي فرضها اللَّه جلَّ وعَلا في كتابه، لا يُعلم الحكم فيها، إلا بسُنن الرسولِ ﷺ .

هذا قول علماء المسلمين، من قال غيرَ هذا خرج عن ملة الإسلام، ودخل في ملة المُلحدين، نعوذ باللَّه تعالىٰ من الضلالة بعد الهدىٰ] (١) .

قال شيخ الإسلام [قال الإمام أبوعبدالله محمد بن إدريس الشافعي : كل ماحكم به رسولُ اللَّه ﷺ فهو مما فهمه من القرآن، قال اللَّه تعالىٰ : ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ [سورة النساء، آية: ١٠٥]. وقال تعالىٰ : ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة النحل، آية: ٤٤]. وقال تعالىٰ : ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل، آية: ٦٤]، ولهذا قال رسولُ اللَّه ﷺ : «ألا أني أوتيت القرآن ومثله معه» يعني السُنة. والسُنة أيضاً تنزل عليه بالوحي كما ينزل القرآن، لا إنها تتلىٰ كما يتلىٰ، وقد استدل الإمام الشافعي وغيره من الأئمة علىٰ ذلك بأدلة كثيرة](٢) .

---

(١) قاله الآجري في الشريعة صحيفة ٤٩ ـ ٥٠ .

(٢) فتاوىٰ شيخ الإسلام ١٣/ ٣٦٣ـ ٣٦٤. وانظر تفسير ابن كثير ١/ ٤



وعن الأوزاعي عن حسان بن عطية، قال: كان جبريل ينزل على النبي ﷺ بالسُنة كما ينزل عليه بالقرآن (١).

قال سماحة العلامة ابن باز رحمه الله: ولا شك أن سنة رسول الله ﷺ وحي منزل، فقد حفظها الله كما حفظ كتابه، وقيض الله لها علماء نقاداً، ينفون عنها تحريف المبطلين، وتأويل الجاهلين، ويذبون عنها كل ما ألصقه بها الجاهلون والكذابون والملحدون، لأن الله سبحانه جعلها تفسيراً لكتابه الكريم، وبيانًا لما أجمل فيه من الأحكام، وضمنها أحكامًا أخرىٰ، لم ينص عليها الكتاب العزيز، كتفصيل أحكام الرضاع، وبعض أحكام المواريث وتحريم الجمع بين المرأة وعمتها، وبين المرأة وخالتها، إلىٰ غير ذلك من الأحكام التي جاءت بها السنة الصحيحة ولم تذكر في كتاب الله عز وجل (٢).

قال شيخ الاسلام [فإن محمداً ﷺ قد عُرف بالاضطرار من دينه أنه مبعوث إلىٰ جميع الإنس والجن، واللَّه تعالىٰ خاطب بالقرآن جميعَ الثقلين، كما قال: ﴿ **لأنذركم به ومن بلغ** ﴾ فكل من بلغهُ القرآن من إنسي وجني فقد أنذره الرسولُ به، والإنذار هو الإعلام بالمخوف، والمخوف - هو العذاب - ينزل بمن عصىٰ أمره ونهيه. فقد أعلم كل من وصل إليه القرآن أنه إن لم يطعه وإلا عذبه اللَّه تعالىٰ، وأنه إن أطاعه أكرمه اللَّه تعالىٰ.

---

(١) أخرجه الدارمي في سُننه ١/ ١٥٣ برقم ٥٨٨. واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١/ ٨٤٣ . وقال الحافظ ابن حجر في الفتح ١٣/ ٣٠٥. وأخرج البيهقي بسند صحيح عن حسان بن عطية أحد التابعين فذكره. قال الألباني في تخريج كتاب الإيمان لشيخ الإسلام. إسناده صحيح عن حسان بن عطية فهو مرسل ص ٣٧.

(٢) الفتاوىٰ ١/ ٢٢١.

وهو قد مات، فإنما طاعته باتباع مافي القرآن مما أوجبه اللّه وحرمه، وكذلك ما أوجبه الرسولُ وحرمه بسُنته. فإن القرآن قد بين وجوب طاعته، وبين أن اللّه أنزل عليه الكتاب والحكمة، وقال لأزواج نبيه ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ [سورة الأحزاب، آية: ٣٤] (١).

عن سعيد بن جبير، أنه حدث يوماً بحديث عن النبي ﷺ فقال رجل: في كتاب اللّه مايخالف هذا؟ قال: ألا أراني أحدثك عن رسول اللّه ﷺ وتعرض فيه بكتاب الله، كان رسولُ اللّه ﷺ أعلم بكتاب اللّه منك (٢).

وإليك بعض الآيات التي لا يمكن فهمها الفهمَ الصحيحَ الذي يكون على مراد اللّه تعالى منها، إلا من طريق السُنة (٣).

الآية الأولى، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [سورة الأنعام، آية: ٨٢].

فقد فهم أصحاب النبي ﷺ قوله ﴿بِظُلْمٍ﴾ على عموم ظاهرِه الذي يشمل كل ظلم، ولو كان صغيراً، ولذلك استشكلوا الآية فقالوا: يارسولَ اللّه. أيُنا لم يلبس إيمانه بظلم؟ فقال ﷺ: «ليس بذلك، إنما هو الشرك، ألا تسمعون إلى قول لقمان: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة لقمان، آية: ١٣] (٤).

---

(١) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ١٦/ ١٤٨-١٤٩.

(٢) أخرجه الدارمي في سُننه ١/ ١٥٤ برقم ٥٩٠، والآجري في الشريعة صحيفة رقم ٥١.

(٣) مستفاد من رسالة للمحدث الألباني وسمها بـ منزلة السُنة في الاسلام مع شيء من التصرف. واللّه الموفق.

(٤) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الايمان باب ظلم دون ظلم ١/ ١٠٩ فتح برقم ٣٢، وأخرجه أحمد في المسند ١/ ٣٧٨.



فمع أن الصحابة رضي اللَّه عنهم أجمعين : «أفضل هذه الأمة، أبرّها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً» (١) إلا أنهم لم يفهموا الآية على مراد اللَّه تعالى. فلولا أن النبي ﷺ لم يصحح فهمهم ويردهم إلى الصواب لاتبعناهم على خطئهم. ولكن اللَّه تبارك وتعالى صاننا عن ذلك بفضل إرشاده ﷺ وسُنته.

الآية الثانية، قال تعالى : ﴿**وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ [سورة النساء، آية: ١٠١]. فظاهر الآية يقتضي أن قصر الصلاة في السفر مشروط له الخوف. ولذا قال بعض الصحابة لرسول اللَّه ﷺ، مابالنا نقصر وقد أمنّا ؟ قال ﷺ : «صدقة تصدق الله بهاعليكم فاقبلوا صدقته» (٢).

فلو أن النبي ﷺ لم يبين الحق في الآية بالحديث المذكور لبقينا شاكين على الأقل في قصر الصلاة في السفر حال الأمن، هذا إن لم نذهب إلى اشتراط الخوف في السفر لقصر الصلاة، كما هو ظاهر الآية فأزال الله تبارك وتعالى الشك بقول نبيه ﷺ وبفعله فقصر ﷺ وقصر الصحابة معه.

الآية الثالثة، قال تعالى : ﴿**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ .... الآية**﴾ [سورة المائدة، آية: ٣]. فبينت السُنة القولية أن ميتة الجراد والحوت والكبد والطحال من الدم كلها حلال. فقال ﷺ : «أحلت لنا ميتتان ودمان : الجراد والحوت والكبد والطحال» (٣).

---

(١) انظر تخريج مشكاة المصابيح حديث رقم ١٩٣.

(٢) أخرجه مسلم في الصحيح كتاب صلاة المسافرين وقصرها ٥/ ١٩٦ نووي.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٩٧، وابن ماجه في السنن حديث رقم ٣٣١٤، وعبد بن حميد في المنتخب برقم ٨٢٠. وأبوبكر البيهقي في السُنن الكبرى ١/ ٢٥٤، وانظر السلسلة الصحيحة للألباني ٣/ ١١١ برقم ١١١٨.



فلولا مابين الرسولُ ﷺ في هذا الحديث من جواز أكل هذين النوعين من الميتة والدم لحرمنا بظاهر الآية طيبات أحلت لنا .

والآية الرابعة قال تعالىٰ : ﴿قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ [سورة الأنعام آية ١٤٥] .

ثم جاءت السُنة فحرمت أشياء لم تُذكر في هذه الآية . كقوله ﷺ : «كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير حرام» (١) وكقوله : «إن الله ورسولَه ينهيانكم عن الحُمرِ الإنسية ، فإنها رجس» (٢) . فلو لم نأخذ بالسُنة والأحاديثِ التي ذكرنا بعضها لاستحللنا ماحرم اللّه علينا ، علىٰ لسان نبيه ﷺ من السباع وذوات المخالب من الطير وغيرها .

الآية الخامسة ، قال تعالىٰ : ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [سورة الأعراف، آية: ٣٢]. فظاهر الآية أن كل زينةٍ أخرجها اللّه لعباده فهي حلال ليس في استعمالها حرج وهذا مجمل فصلته السُنة .

فبين رسولُ اللّه ﷺ أن من الزينة ماهو محرم، فثبت عنه أنه خرج يوماً

---

(١) أخرجه مسلم في الصحيح كتاب الصيد باب تحريم أكل كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير ١٣/ ٨٢ النووي .

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الذبائح والصيد باب لحوم الحُمر الإنسية ٩/ ٥٧٠ فتح برقم ٥٥٢٨ ، وأخرجه مسلم في الصحيح كتاب الذبائح والصيد باب تحريم أكل لحم الحمر الإنسية ١٣/ ٩٤ نووي .



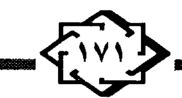
علىٰ أصحابه وفي إحدىٰ يديه حريرٌ وفي الأخرىٰ ذهبٌ فقال ﷺ : «إن هذين حرام علىٰ ذكور أمتي، حل لإناثها» (١).

فلولا مابين رسولُ اللَّه ﷺ من تحريم هذين النوعين علىٰ الذكور من أمته لفعلوا ماحرم اللَّه عليهم ولوقعوا فيه. فالحمد لله علىٰ أن بعث لنا رسولا منا ليخرجنا من الظلمات إلىٰ النور، والحمد لله علىٰ قبول ماجاء به من الهدىٰ ونسأل اللَّه لنا زيادة القناعة والتوفيق لاتباعه في كل صغيرة من أمره وكبيرة.

الآية السادسة، قال تعالىٰ : ﴿**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ**﴾ [سورة التوبة، آية : ٣١]. فإن ظاهر الآية يفيد أنهم عبد وهم اي صرفوا لهم شيئاً من العبادة وبذلك اتخذوهم أرباباً من دون اللَّه كما فهم ذلك عدي بن حاتم رضي اللَّه عنه حتىٰ إنه قال في بعض الروايات : «أما إنهم لم يكونوا يصلون لهم» فجاء الرسولُ ﷺ بتفسير الآية علىٰ مراد من تكلم بها. فعن عدي رضي اللَّه عنه قال : أتيت رسولَ اللَّه ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب، فقال : «ياعدي اطرح هذاالوثن من عنقك، قال : فطرحته وانتهيت إليه وهو يقرأ في سورة براءة، فقرأ هذه الآية : ﴿**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ**﴾ [سورة التوبة، آية : ٣١]. قال. قلت : يارسولَ اللَّه إنا لسنا نعبدهم، فقال : (أليس يحرمون ما احل اللَّه فتحرمونه ويُحلُون ماحرم اللَّه

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ١/ ١١٥، وأبو داود في السُنن برقم ٤٠٥٧، والنسائي في السُنن كتاب الزينة باب تحريم الذهب علىٰ الرجال برقم ٤٧٥٤، وابن ماجة في السنن برقم ٣٥٩٥. قال الألباني صحيح. صحيح الجامع برقم ٢٢٤.



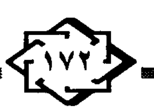
فتُحلونه) قال : قلت : بلى. قال : (فتلك عبادتهم) (١).

(الأحبار) هم العلماء (الرهبان) هم العباد

ومما تقدم يتبين لنا أهمية السُنة في التشريع الإسلامي وضرورتها لمعرفة مراد اللَّه عزَّ وجلَّ من كلامه الذي أنزله تبياناً لكل شيء، فإننا إذا أعدنا النظر في الأمثلة المذكورة فضلاً عن غيرها مما لم نذكر حصلت لنا القناعة التامة، بأنه لا سبيل إلى فهم القرآن الفهمَ الصحيحَ إلا مقروناً بالسُنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

---

(١) أخرجه الترمذي في السُنن كتاب التفسير من سورة التوبة برقم ٣٣٠٨، وأخرجه ابن جرير في جامع البيان ١٠/ ١١٤، وأبو بكر البيهقي في السُنن ١٠/ ١١٦، وقال شيخ الإسلام في كتاب الإيمان ٦٤ وهو حديث حسن.



كم من مريد للخير لن يصيبه

إن كثيراً من المسلمين عند إرادته الدخول في أي عمل مما يُراد به وجه اللَّه، قد يراعي النية والإخلاص لله في هذا العمل، وقد يغفل عن ذلك، وأيضاً قد يُراعي المتابعة للنبي ﷺ، وقد يغفل عن ذلك، فإن وفق للجمع بين إخلاص النية لله والمتابعة لرسولِ اللَّه ﷺ، كان عمله بذلك عملاً صالحاً متقبلاً، مكتمل الشروط. وهما شرطان، الأول: الإخلاص لله عزَّ وجلَّ. والثاني: المتابعة لرسول اللَّه ﷺ.

فإن فقد الأول، كان عمله بذلك إما شركاً أو رياءً، ولو راعىٰ الشرط الثاني. وإن فقد الثاني كان عمله بذلك بدعة علىٰ غير ماشرع اللَّه ولو راعىٰ الشَرْط الأول.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله:

حق الإله عبادة بالأمـــــر لا ... بهوىٰ النفوس فذاك للشيطان

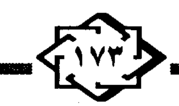
من غير إشراك به شيئًا همـــا ... سببا النجاة فحبذ الســــببان

لم ينج من غضب الإله وناره ... إلا الذي قامت به الأصــلان

والناس بعد فمشرك بإلهـــه ... أو ذو ابتداع أو له الوصــفان

ولذلك فقد جاء في الكتاب العزيز والسُنة المطهّرة مايحذرنا من إهمال أحد الشرطين. لنتجنب أسباب رد العمل وإبطاله.

ومن ذلك علىٰ سبيل المثال قوله تعالىٰ: ﴿ **قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا** ﴾



[سورة الكهف، آية : ١٠٣، ١٠٤]. قال إمام المفسرين ابن جرير الطبري رحمه اللَّه في هذه الآية : ﴿ قُلْ ﴾ يامحمد لهؤلاء الذين يبغون عنتك ويجادلونك بالباطل . . . . ﴿هَلْ نُنَبِّئُكُ﴾ ايها القوم. ﴿ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ﴾ يعني بالذين أَتعبوا أنفسهم في عمل يبغون به ربحاً وفضلاً، فنالوا به عَطَبا وهلاكا ولم يدركوا طلباً، كالمشتري سلعة يرجو بها فضلاً وربحا. فخاب رجاؤه وخسر بيعه ووكس في الذي رجا فضله.

ثم نقل عن علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه في قول : إنه قال هم الرهبان الذين حبسوا انفسهم في الصوامع، وفي قول آخر إنهم أهل حرُوراء (الخوارج).

ونقل عن سعد بن أبي وقاص رضي اللَّه عنه قال : إنهم أهل الصوامع.

ثم قال : والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال : إن اللَّه عزَّ وجلَّ عني بقوله : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً﴾ كل عامل عملاً يحسبه فيه مصيبا وأنه لله بفعله ذلك مطيع مرض. وهو بفعله ذلك لله مسخط، وعن طريق أهل الإيمان به جائر. كالرهبانية والشمامسة وأمثالهم من أهل الإجتهاد في ضلالتهم. وهم مع ذلك من فعلهم واجتهادهم باللَّه كفره، من أهل أي دين كانوا. . . . .

وقوله : ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ يقول : هم الذين لم يكن عملهم الذي عملوه في حياتهم الدنيا علىٰ هدىٰ واستقامة، بل كان علىٰ جور وضلالة، وذلك إنهم عملوا بغير ما أمرهم اللَّه به بل علىٰ كفر منهم به

﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ . يقول وهم يظنون أنهم بفعلهم ذلك لله مطيعون، وفيما ندب عباده إليه مجتهدون . . . جامع البيان ١٦/ ٣٢-٣٣-٣٤.

وقال ابن الجوزي : وجه خسرانهم أنهم تعبدوا على غير أصل، فابتدعوا فخسروا الأعمار والأعمال، فتح الباري ٨/ ٢٧٩ .

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله : وهذا حال أرباب الأعمال التي كانت لغير الله عز وجل، أو على غير سنة رسول الله ﷺ، وحال أرباب العلوم والأنظار التي لم يتلقوها عن مشكاة النبوه ولكن تلقوها عن زبالة أذهان الرجال وكناسة أفكارهم، فأتعبوا قواهم وأفكارهم واذهانهم في تقرير آراء الرجال أو الانتصار لهم، وفهم ما قالوه وبثه في المجالس والمحاضر، وأعرضوا عما جاء به الرسول ﷺ صحفًا، ومن به رمق منهم يُعِيره أدنى التفات طلبًا للفضيلة .

وأما تجريد إتباعه وتحكيمه واستفراغ قوى النفس في طلبه وفهمه وعرض آراء الرجال عليه ورد ما يخالفه منها وقبول ما وافقه، ولا يلتفت إلى شيء من آرائهم وأقوالهم إلا إذا أشرقت عليها شمس الوحي وشهد لها بالصحة فهذا أمر لا تكاد ترى أحدًا منهم يحدث به نفسه فضلاً عن أن يكون أخيته ومطلوبه وهذا الذي لا ينجي سواه .

فوا رحمتا لعبد شقي في طلب العلم واستفرغ فيه قواه واستنفد فيه أوقاته وآثره على ما الناس فيه، والطريق بينه وبين رسول الله ﷺ مسدود، وقلبه عن المرسِل سبحانه وتعالى وتوحيده والإنابة إليه والتوكل عليه والتنعم بحبه والسرور بقربه مطرود ومصدود . . . . [1].

---

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية ص٨٩ـ ٩٠ .

وقال تعالىٰ : ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [سورة الاعراف، آية : ٣٠].

وقال تعالىٰ : ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [سورة فاطر، آية :٨].

قال الطبري : يقول تعالىٰ ذكره : أفمن حسن له الشيطان أعماله السيئة من معاصي اللَّه والكفر به، وعبادة مادونه من الآلهة والأوثان فحسب سيء ذلك حسنا، وظن أن قبحه جميله، لتزيين الشيطان ذلك له ذهبت نفسك عليهم حسرات. وقوله : ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ يقول : فان اللَّه يخذل من يشاء عن الإيمان به واتباعك وتصديقك، فيضله عن الرشاد إلىٰ الحق في ذلك ﴿وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾. يقول : ويوفق من يشاء للإيمان به واتباعك، والقبول منك فتهديه إلىٰ سبيل الرشاد.

وقال تعالىٰ : ﴿ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [سورة الزخرف، آية: ٣٧].

وقال تعالىٰ : ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ [سورة محمد، آية: ١٤].

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لا عذر لأحد في ضلالة ركبها حسبها هدىٰ، ولا في هدىٰ تركه حسبه ضلالة، فقد بُيِّنت الأمور، وثبتت الحجة، وانقطع العذر، وذلك أن السنة والجماعة قد أحكما أمر الدين كله، وتبين للناس، فعلىٰ الناس الاتباع [(١)].

(١) ذكر هذا الأثر الإمام أبو محمد الحسن البربهاري في كتاب شرح السنة ص ٢١ ـ ٢٢.



وقال ابن القيم : فإن قيل : فهل لهذا عذر في ضلالة إذا كان يحسب أنه على هدىٰ . كما قال تعالىٰ : ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ ؟ قيل لا عذر لهذا وأمثاله من الضلال الذين منشأ ضلالهم الإعراض عن الوحي الذي جاء به الرسول ﷺ، ولو ظن أنه مهتد فإنه مفرط بإعراضه عن اتباع داعي الهدىٰ ، فإذا ضل فإنما أُتي من تفريطه وإعراضه . وهذا بخلاف من كان ضلاله لعدم بُلوغ الرسالة وعجزه عن الوصول إليها . فذاك له حكم آخر . والوعيد في القرآن : إنما يتناول الأول . وأما الثاني : فإن الله لا يعذب أحداً إلا بعد إقامة الحجة عليه . كما قال تعالىٰ : ﴿**وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا**﴾ وقال تعالىٰ : ﴿**رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل**﴾ . . . وهذا كثير في القرآن)[1] .

وقال تعالىٰ : ﴿**عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً**﴾ [سورة الغاشية، آية : ٣ـ ٤]. وعن عمران الجوني قال : مر عمر بن الخطاب رضي اللّٰه عنه بدير راهب . قال : فناداه ياراهب فأشرف، قال : فجعل عمر ينظر إليه ويبكي فقيل له يا أمير المؤمنين مايبكيك من هذا ؟ قال . ذكرت قول اللّٰه عز وجل في كتابه : ﴿**عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً**﴾ فذاك الذي أبكاني[2] .

وعن حميد بن حميد أبي الطويل أنه سمع أنس بن مالك يقول : «جاء ثلاثة رهط إلىٰ بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ ، فلما أُخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا : واين نحن من رسول اللّٰه ؟ قد غفر له

---

(١) مفتاح دار السعادة لابن قيم الجوزية ص ٥٨ ـ ٥٩ .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٥٢١ ـ ٥٢٢ . وأورده الحافظ ابن كثير في تفسيره وعزاه للحافظ أبي بكر البرقاني .



ماتقدم من ذنبه وما تأخر . فقال أحدهم : أما أنا ، فأنا أصلي الليل أبداً وقال آخر : أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً ! فجاء رسول اللّه ﷺ إليهم ، فقال : «أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ . أما واللّه إني لأخشاكم لله ، وأتقاكم له ، ولكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني» [(١)] .

فهؤلاء الرهط الثلاثة رضي الله عنهم ، والله ما أرادوا إلا الخير ، ولقد كانوا مخلصين ، ويدلك على إخلاصهم أنواع الأعمال التي عزموا على فعلها .

فأحدهم عزم على سرد الصيام الذي هو سر بين العبد وربه ، لا يطلع عليه إلا الله ، والأخر عزم على صلاة الليل التي هي وقت الخلوة بالله وحده .

ولكن لما فقدت أعمالهم أحد شرطي قبول العمل ، ألا وهو المتابعة للنبي ﷺ أنكر عليهم رسول الله ﷺ وغضب ، ولم يقرهم على فعلهم ، وأعلمهم أن مثل هذا الفعل رغبة عن سنته ، وتنقص له ﷺ .

وفي مقابل هؤلاء الثلاثة الذين أغفلوا المتابعة فيما عزموا عليه من العمل ، ثلاثة قد أغفلوا الإخلاص في أعمالهم ، وهم الذين جاء ذكرهم في حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

فعن عقبة بن مسلم : أن شُفيًا الأصبحي حدثه : أنه دخل المدينة فإذا هو برجل قد أجتمع عليه الناس ، فقال : من هذا؟ فقالوا : أبو هريرة ، فدنوت منه حتى قعدت بين يديه ، وهو يحدث الناس . فلما سكت وخلا قلت له : أسألك بحق . . . وبحق . . . ، لما حدثتني حديثًا سمعته من

---

(١) تقدم تخريجه في صحيفة ٦٦ .

رسول الله ﷺ عَقِلْته وعَلِمْته .

فقال أبو هريرة : أفعل لأحدثنك حديثًا حدثنيه رسول الله ﷺ عقلته وعلمته ، ثم نَشَغَ أبو هريرة نشغة فمكثنا قليلاً ثم أفاق فقال : لأحدثنّك حديثًا حدثنيه رسول الله ﷺ في هذا البيت ، ما معنا أحد غيري وغيره ، ثم نشغ أبو هريرة نشغة شديدة ، ثم أفاق ومسح وجهه وقال : أفعل لأحدثنك حديثًا حدثنيه رسول الله ﷺ أنا وهو في هذا البيت ما معنا أحد غيري وغيره ، ثم نشغ أبو هريرة نشغة شديدة ، ثم مال خارًّا على وجهه فأسندته طويلاً ، ثم أفاق فقال : حدثني رسول الله ﷺ : «أن الله تعالى إذا كان يومُ القيامة ينزل إلى العباد ليقضي بينهم ، وكل أمةٍ جاثيةٌ ، فأول من يدعُو به رجلٌ جمع القرآن ، ورجلٌ قُتِلَ في سبيل الله ، ورجل كثيرُ المال ، فيقول الله للقارئ : ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي ؟

قال : بلى يا رب . قال : فماذا عملت فيما عَلِمْتَ؟ قال : كنت أقومُ به آناء الليل وآناء النهار ، فيقول الله له : كذبتَ ، وتقول الملائكة : كذبت ، ويقول الله له : بل أردتَ أن يُقال : فلان قارئ ، فقد قيل ذلك ، ويؤتى بصاحب المال ، فيقول الله : ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحدٍ؟ قال : بلى يا رب .

قال : فماذا عملت فيما آتيتك؟ قال : كنت أصِلُ الرحم وأتصدقُ ، فيقول الله له : كذبتَ . وتقولُ الملائكة له : كذب ، ويقول الله بل أردت أن يُقال : فلان جواد وقد قيل ذلك ، ويؤتي بالذي قُتِلَ في سبيل الله فيقول الله له : في ماذا قُتِلْتَ؟ فيقول : أمرتَ بالجهاد في سبيلكَ فقاتلتُ حتى قُتلتُ . فيقول الله لهُ : كذبت ، وتقولُ الملائكة : كذبتَ ، ويقولُ الله : بل أردتَ أن يُقال : فلان جريء ، فقد قيل ذلك» .

ثم ضرب رسول الله ﷺ على ركبتي فقال: يا أبا هريرة: (أولئك الثلاثةُ أولُ خلقِ الله تُسعَرُ بهم النار يوم القيامةِ) .

فدخل شُفيًا على معاوية، فأخبره بهذا عن أبي هريرة، فقال معاوية: قد فُعِلَ بهؤلاء هذا، فكيف بمن بقي من الناس، ثم بكى معاوية بكاء شديداً حتى ظننا أنه هالك. وقلنا: قد جاءنا هذا الرجل بشر، ثم أفاق معاوية ومسح عن وجهه وقال: صدق الله ورسوله: ﴿**مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ** ⑮ **أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾(١) [هود: ١٥-١٦].

فهؤلاء الثلاثة جاءوا بأعمال عظيمة من أحب الأعمال إلى الله علم وصدقة وشهادة في سبيل الله، ولكن لما فقدت أعمالهم أحد شرطي قبول العمل ألا وهو الإخلاص لله، وابتغاء وجهه، ردت عليهم واستحقوا بها عذاب الله .

وهذه الآيات والأحاديث تبين لنا أهمية هذين الشرطين وأن مدار قبول الأعمال عليها فمن جاء بهما ولو مع عمل قليل نفعه الله به وتقبله منهم،

---

(١) أخرج الإمام مسلم المرفوع من هذا الحديث في صحيحه بلفظ مخالف ١٣/ ٥٠-٥١، النووي وأخرجه الترمذي في سننه برقم ٢٥٠٢ واللفظ له، ابن خزيمة في صحيحه ٤/ ١١٥ برقم ٢٤٢٨، والحاكم في المستدرك ١/ ٤١٩، وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، ولم يرد عندهما جزء الحديث المتضمن لقصة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه .
وقال الألباني عن إسناد الترمذي (صحيح) .



ومن أغفلهما أو أحدهما لم ينفعه عمله وإن كثر، بل إن يكون من أسباب عذابه.

ثم تفكر في حال هذين الصحابيين وشفقتهما وخوفهما من هذا الداء العضال الذي كان سببًا لإبطال عمل هؤلاء الرهط المذكورين في الحديث.

هذه حال أصحاب محمد ﷺ ورضي الله عنهم مع العلم بأنهم أهل الإيمان والله قد حباهم برسوخ القدم في العلم ومعرفة مراد الله من كلامه ومراد رسوله ﷺ وقد جمع الله لهم من الفضائل والمناقب ما لا يدانا ولا يبارا من الصحبة للنبي ﷺ، وتعزيره، وتوقيره، والسابقة إلى الإيمان به ومجاهدة أعدائه، ونشر دينه في الأرض وغير ذلك كثير مما يتعذر حصره، ومع ذلك كله فأحدهم ينشغ ويغمي عليه خوفًا من إرادة السمعة والريا بعمله، فأين هذا الشُعور من حياتنا اليوم إلا من رحم الله، والله المستعان.

فرضي الله عمن كانت حياتهم وسيرتهم مدرسة لمن بعدهم من الأجيال أولئك أصحاب رسول الله ﷺ.

وعن عمرو بن يحيى، قال: سمعت أبي يحدث عن أبيه، قال: كنا نجلس على باب عبداللّه بن مسعود قبل صلاة الغداة، فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد فجاءنا أبوموسى الأشعري فقال: أخرج إليكم أبو عبدالرحمن بعد؟ قلنا: لا، فجلس معنا حتى خرج، فلماخرج قمنا إليه جميعاً فقال له أبو موسى: يا أبا عبدالرحمن إني رأيت في المسجد آنفاً أمراً أنكرته ولم أر والحمد لله إلا خيراً. قال: فما هو؟ فقال: إن عشت فستراه. قال: رأيت

في المسجد قوماً حلقاً جلوساً ينتظرون الصلاة في كل حلقة رجل وفي أيديهم حصا فيقول : سبّحوا مائة ، فيسبحون مائة . قال : فماذا قلت لهم ؟ قال : ماقلت لهم شيئاً انتظار رأيك أو انتظار أمرك . قال : أفلا أمرتهم أن يعدّوا سيئاتهم ، وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم شيء ، ثم مضى ومضينا معه حتى أتى حلقة من تلك الحلق ، فوقف عليهم فقال : ماهذا الذي أراكم تصنعون ؟ . قالوا : يا أبا عبدالرحمن حصا نعدّ به التكبير والتهليل والتسبيح . قال : فعدّوا سيئاتكم ، فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء ، ويحكم يا أمة محمد ما أسرع هلكتكم ، هؤلاء صحابة نبيكم ﷺ متوافرون ، وهذه ثيابه لم تَبلَ ، وآنيته لم تكسر ، والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد ؟ أومفتتحوا باب ضلالة ؟ قالوا : والله يا أبا عبدالرحمن ، ما أردنا إلا الخير ؟ قال : وكم من مريد للخير لن يصيبه ، إن رسول الله ﷺ حدثنا : «إن قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، [يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية]» (١) وأيم الله ما أدري لعل أكثرهم منكم ، ثم تولّى عنهم ، فقال عمرو بن سلمة : رأينا عامة أولئك الحلق يطاعنونا يوم النهروان مع الخوارج (٢) .

ومن الفوائد التي تؤخذ من الحديث والقصة ، أن العبرة ليست بكثرة

---

(١) مابين المعكوفتين زيادة في المسند ١/ ١٠٤ عن ابن مسعود رضي الله عنه وهي زيادة في الحديث المرفوع لافي القصة . فإن أحمد لم يخرج القصة .

(٢) أخرجه الدارمي في السُنن ١/ ٧- ٨٠ باب في كراهية أخذ الرأي . ولابن وضاح نحوه في البدع ص ٨ - ٩ ، وأخرجه البطراني في الكبير مختصراً ٩/ ١٢٧ برقم ٨٦٣٦ .
قال أبو عبدالرحمن العلامة الألباني إسناده صحيح السلسلة ٥/ ١٢ . وعنون له بـ عاقبة الابتداع والغلو في الدين .

العبادة، وإنما بكونها على السُنة، وبعيدة عن البدعة، وقدأشار إلى هذا ابن مسعود رضي اللَّه عنه بقوله أيضاً: «اقتصاد في سُنة، خير من اجتهاد في بدعة» تقدم تخريجه.

ومنها: أن البدعة الصغيرة بريد إلى البدعة الكبيرة، ألا ترى أن أصحاب تلك الحلقات صاروا بعد من الخوارج الذين قتلهم الخليفة الراشد علي بن أبي طالب؟. فهل من معتبر؟! (١).

وعن سعيد بن المسيب أنه رأى رجلاً يصلي بعد طلوع الفجر أكثر من ركعتين، يكثر فيها الركوع والسجود، فنهاه، فقال: يا أبا محمد! يعذبني اللَّه على الصلاة؟! قال: لا، ولكن يعذبك على خلاف السُنة (٢).

وهذا من بدائع أجوبة سعيد بن المسيب رحمه اللَّه تعالى، وهو سلاح قوي على المبتدعة الذين يستحسنون كثيراً من البدع باسم أنها ذكر وصلاة، ثم ينكرون على أهل السُنة إنكار ذلك عليهم، ويتهمونهم بأنهم ينكرون الذكر والصلاة!! وهم في الحقيقة إنما ينكرون خلافهم للسنة في الذكر والصلاة ونحو ذلك (٣).

هذا وإن كل ماذكر في هذا الفصل من النصوص والآثار، لِمَمّا يجلب للمسلم المتدبر لمعانيهاوالمعتبر المفكر فيها، الخوف من الوقوع فيما يظنه قربة

---

(١) قاله الألباني السلسلة ٥/ ١٣ـ١٤.

(٢) قال الألباني روى البيهقي بسند صحيح فذكره، الإرواء ٢/ ٢٣٥.

والنهي عن الزيادة على ركعتين بعد طلوع الفجر قد جاء مرفوعاً إلى النبي ﷺ، فعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رسولَ اللَّه ﷺ قال: «إذا طلع الفجر فلا صلاة الا ركعتي الفجر» انظر الإرواء ٢/ ٢٣٢ حديث رقم ٤٧٨ وقال الألباني صحيح.

(٣) قاله الألباني في كتابه الجليل إرواء الغليل ٢/ ٢٣٦.



إلىٰ اللَّه ووسيلة لرضاه، وهو في الحقيقة من موجبات سخطه وأليم عقـابه. إما لكـونه أشرك فيه مع اللَّه غيره، أو لكـونه راءىٰ فيه أحداً من الناس، أو لأنه بدعة علىٰ غير ما شرع اللَّه عزَّ وجلَّ. فإذا اطلع علىٰ ماذُكر في هذا الفصل من النصوص والآثار وأمثالها مما لم يذكر هنا وجب عليه ألا يُغمض طرفه للراحة والسكينة، وأن لا يتلذذ بشيء مما في هذه الدنيا، حتىٰ يعلم علم اليقين أنه علىٰ الحق المبين الذي رضيه رب العالمين.

وَكَيْفَ تَنَامُ العَيْنُ وَهِيَ قَرِيرَة   وَلَمْ تَدْرِفي أيِّ المَحَلَّيْنِ تَنْزِلَ

ولا سبيل لذلك إلا بالإخلاص لله عزَّ وجلَّ وقصد وجهه بالعمل ثم بمتابعة النبي ﷺ في جميع شأنه فيما يستطيع المكلف: ﴿**لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا**﴾ [البقرة، آية: ٢٨٦] وذلك بطاعة أوامره والانتهاء عن نواهيه. ولا سبيل لتحقيق هذين الشرطين إلا بالعلم الموروث عن النبي ﷺ من كتاب اللَّه والسُنة مقروناً بفهم سلف الأمة من الصحابة رضي اللَّه عنهم والتابعين لهم بإحسان.

و [فيما ذكرت في هذا الجزء من التمسك بشريعة الحق والاستقامة علىٰ ماندب اللَّه عزَّ وجلَّ إليه أمة محمد ﷺ، وندبهم إليه الرسولُ ﷺ: ما إذا تدبره العاقل علم أنه قد لزمه التمسك بكتاب اللَّه عزَّ وجلَّ، وسنة رسولِ اللَّه ﷺ، وسنة الخلفاء الراشدين، وجميع الصحابة رضي اللَّه عنهم، وجميع من تبعهم بإحسان، رحمهم اللَّه، وأئمة المسلمين، وترك المراء والجدال والخصومات في الدين. ومجانبة أهل البدع، والإتباع، وترك الابتداع، وقد كفانا علم من مضىٰ من أئمة المسلمين الذين لا يستوحش من ذكرهم، عن مذهب أهل البدع والضلالات، واللَّه تعالىٰ الموفق لكل رشاد،

والمعين عليه، إن شاء اللّه تعالى] [١] .

واللّه أعلم وصلى اللّه وسلم على نبينا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

* * *

(١) قاله الامام الآجري في الشريعة ٥٣ ـ ٥٤ .

الفهـــارس

الموضـــــوع	الصفحة